حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة الثالثة عشرة / (يوليو - أغسطس) ٢٠١٨

67

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | July - Agust 2018

هيامنا

خلايا أدمغتنا لحمائم السلام أعشاش،
فنحن لها ناي،
نصدح بأنغام السلام ونشدو،
لا عشق لنا غيرُه،
جميعنا للقرآن خُدّام،
فإن كان بعضهم عبدًا للحظته،
فهُيامُنا نحن بالغد الآتي.

***

٢ سجية العفو — **فتح الله كولن**

٩ الحوار ضرورة عصرية — **أ.د. محي الدين عفيفي**

٤٤ العلاج بالوهم — **د. محمد السقا عيد**

ضرورة العصر

إننا نعيش في زمن يختلف في طبيعته عن الأزمان السابقة. تطورت العلوم بصورة مبهرة، وصلت التكنولوجيا ووسائل الاتصال حدًّا يصعب تخيّله، تقلص الزمان وانكمشت المسافات، وأصبح البشر متقاربين إلى بعض بشكل لم يحدث من قبل، وبات التفاعل المعرفي والثقافي والاجتماعي من الأمور العادية.

مع ذلك بقي الإنسان هو الإنسان، بقيت الأنانية وحب التملك والسيطرة وأمثالها من النزعات مستحكمة فيه، كما بقيت قيم الحب والتسامح والتآخي والرحمة والإيثار مغروسة فيه. ولكن لا يختلف أحد منا أن الحاجة إلى "حضور" سجايا الخير في حياتنا بقوة، بات اليوم ضرورة ملحة لا يمكن مقارنتها مع أي عصر مضى، لأن الوسائل الفتاكة التي يملكها الإنسان اليوم، تهدد مصير البشرية جمعاء.

إن سكان الأرض في حاجة ماسة إلى إحلال قيم الرحمة والعفو والتسامح والأخوة في كل مجالات حياتنا، لكي ينعموا بالأمن والسعادة والسلام، وإلا فالصورة لا تدعو إلى التفاؤل.

انطلاقًا من هذا الوعي تتقاسم حراء في هذا العدد مع قرائها باقة من المقالات التي تنبه إلى أهمية قيم العفو والتعارف والحوار والتعايش والسلام وسط حديقة متنوعة من مقالات أخرى تعزز هذا المعنى وإن اختلف المجال والتخصص.

الأستاذ فتح الله كولن يؤكد في المقال الرئيس على "سجية العفو" قائلاً: "لقد تعرفت الكائنات على العفو من خلال الإنسان، كما أبرز الحق تعالى عفوه من خلال الإنسان". أم الدكتور عبد الكريم عكيوي فيعالج قضية في غاية الأهمية وهي البناء الحضاري، أسسه، قواعده، فلسفته. فما لم يتم وضع قواعد سليمة، فلا يمكن أن تقوم لأي حضارة قائمة. وفي سياق الجو العام الذي يسود هذ العدد يؤكد الدكتور محيي الدين عفيفي الأمين العالم لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، على أهمية الانفتاح على الآخر، والحوار مع الحضارات والثقافات الأخرى، بل ويعتبر "الحوار ضرورة عصرية" وليس نوعًا من الترف الأكاديمي أو الفكري.

أما معصوم محمد خلف فيذكرنا بالإنسان وأهميته، وهي قضية ما فتئت حراء تلح عليها وتكررها في كل مناسبة، فالإنسان مهم بالأمانة الكبرى التي تحمّلها. وفي مقال آخر من باب علم النفس يحدثنا الدكتور أيمن عبد السميع عن الاكتئاب وطريقة معالجته بالرسم والألوان.. مقال "العلاج بالرسم والألوان" مثير للغاية. أما صابر عبد الفتاح المشرفي فيتطرق إلى موضوع يمس مجتمعاتنا الإسلامية والإنسانية بصورة مباشرة، وهو "ظاهرة الانحراف الفكري وطرق علاجها"، الدكتور صابر يعالج الموضوع انطلاقًا من نموذج عملي حي، نموذج الأستاذ فتح الله كولن واقتراحاته في القضاء على الانحراف الفكري والعنف.

ولا بد من الإشارة إلى مقال "إحياء الأرض بعد موتها" للدكتور أحمد مليجي، فهو يطلعنا على العبارة القرآنية في وصفها البديع لحقيقة كونية فريدة.

وقبل الختام لا بد من الإشادة بمقال "الأسرة الإنسانية وثقافة السلام" للدكتورة ديبورا مولدوف، ومقال "أدبيات الحوار والتواصل" للدكتور العطري بن عزوز، فقد أبدع الكاتبان في الحديث عن السلام والحوار والتعايش. هذا بالإضافة إلى مقالات أخرى غاية في الأهمية والجمال في باب العلوم والأدب والشعر والفكر والحضارة لم يتسع المكان لذكرها، لكن كل مقال من تلك المقالات تحفة فنية تستحق القراءة والمدارسة. ■

المحتويات

سجية العفو / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
ليتها أدركت / حراء (ألوان وظلال)	٤
قواعد البناء الحضاري / د. عبد الكريم عكيوي (قضايا فكرية)	٥
الحوار ضرورة عصرية / أ.د. محي الدين عفيفي (قضايا فكرية)	٩
التمادي والتفادي / حراء (ألوان وظلال)	١١
التئام الجروح والكسور / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	١٢
الإنسان والأمانة الإلهية / معصوم محمد خلف (قضايا فكرية)	١٥
العلاج بالرسم والألوان / د. أيمن عبد السميع حسين (علوم)	١٨
ظاهرة الانحراف الفكري وطرق علاجها / صابر عبد الفتاح المشرفي (قضايا فكرية)	٢١
أصالة الخط العربي / د. علي عفيفي علي غازي (ثقافة وفن)	٢٤
العائد إلى الله / ليلى محمد السبيعي (قصة)	٢٨
مقعد في كل قلب / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
روح الكون والكائنات في وجدان الأنصاري / إدريس التركاوي (قضايا فكرية)	٣٤
الحروف المهاجرة / حسام الدين صالح (قصة)	٣٨
إحياء الأرض الميتة / أ.د. أحمد مليجي (علوم)	٤٠
أعشق / أناس الكنوني (أدب)	٤٣
العلاج بالوهم / د. محمد السقا عيد (علوم)	٤٤
الأسرة الإنسانية وثقافة السلام / د. ديبورا مولدوف (ثقافة وفن)	٤٨
أدبيات الحوار والتواصل من منظور قرآني / د. العطري بن عزوز (قضايا فكرية)	٥١
الماء دواء ولكن.. / د. منى عبد العزيز (علوم)	٥٥
كيف تصمم مسكنا نموذجيا؟ / أ.د. يحيى وزيري (ثقافة وفن)	٥٨
طفل في الحجرة النبوية / أ.د. محمد إبراهيم العشماوي (شعر)	٦٢

سجية العفو

يتمتع الإنسان بفضائل عالية ويعاني في الوقت نفسه من نقائص عديدة، ولم يَسبِق لكائن قبل الإنسان أنْ جَمَع في نفسه هذا الكم من المتناقضات؛ فهو من الأعاجيب التي تنحرف فجأة فتسقط إلى مهاوي الجحيم في الوقت الذي ترفرف وتحلّق في أجواء الجنان. ومن العبث البحث عن علاقة بين هذه الانحدارات والارتفاعات الهائلة، فإن الأسباب والنتائج تسير في الإنسان على خط مختلف للغاية.

تراه أحيانًا مثل سنابل الزرع الخضراء الطريّة تتمايل وتعتدل مع النسمات يمنةً ويسرة، وتراه أحيانًا أخرى مهيبًا شامخًا مثل دلب سامق ثم يخر على الأرض ساقطًا لا يستطيع النهوض، له أوقاتٌ كثيرة تغبطه فيها الملائكة، وله أزمان وحالات تكاد الشياطين تخجل منها.

إن المعاصي ليست أصلاً في الإنسان، لكنها من الأقدار المتوقعة فيه، وهو الذي يعاني هذا الكم من أنواع الانحدار والارتقاء، وتلوُّثه بها -وإن كان أمرًا عارضًا- لكنه محتمل، لذا فالعفو لمن كانت فطرته معرَّضة لفساد بسبب التلوث، هو الكل في الكل.

إن طلب العفو وانتظارَه، والأنينَ بسبب فوت الفرص أمرٌ عالي القيمة، لأنه منوط بمستوى الإدراك والشعور؛ وكذلك العفوُ عن الآخرين لا يقل عنه قيمة، بل قد يفوقه سموًّا وفضيلةً. إن الفصل بين العفو والفضيلة خطأ فادح، ويا له من مَثَل حكيم ذلك الذي يقول:

"التقصيرُ ديدن الصغار والعفوُ ديدن الكبار".

إن إحراز العفو يعني الترميم والرجوع إلى الأصل واكتشاف الإنسان لجوهره، ولذلك فإن أحب أعمال المرء إلى صاحب الرحمة اللانهائية، هو ما يعانيه من الخفقان عندما يبحث عن هذه الأوبة.

لقد تعرفَت الكائنات كلها على العفو من خلال الإنسان، كما أبرزَ الحق تعالى عفوه من خلال الإنسان، ووضع في قلب هذا الكائنِ ذلك الجمال الذي يزهو به العفو. وحينما هوى الإنسان الأول بضربة على جوهره بتلك الزَّلة التي هي من مقتضيات فطرته، كان الأمر المسموع من وجدانه هو الأنَّة والتضرع، وكان جواب هذا التضرع هو العفو النازل من السماء.

لقد حافظ الإنسان طوال العصور على هذه الهدية التي وَرِثَها عن جده الأول باعتبارها وسيلة للأمل والتسلية، فكلما ارتكب خطيئة رَكِب متنَ هذا العرش السحري فارتقى وتفلَّتَ من خجل خطاياه وإحباطها ووصل إلى الرحمة اللانهائية، كما أكسبته عزة وترفعًا إذ جعلته لا يرى أخطاء الآخرين وزلاتهم وكأنها محجوبة عنه بستار.

وبفضل الأمل في إحراز العفو، يرتقي الإنسان فوق غيوم اليأس القاسية التي تتلبّدَ فوق رأسه، ويتمكن من رؤية عالمه نيّرًا مضيئًا. والسعداء المحظوظون الذين هم على دراية بأجنحة العفو المُرَقّية؛ يعيشون طولَ أعمارهم وهم يسمعون ألحانًا تبعث الانشراح في الأرواح.

إن الإنسان الذي لا يزال قلبه متعلقًا بطلبِ العفو عن أخطائه، لا يمكن أن نتصوره بعيدًا عن مشاعر العفو عن الآخرين أيضًا، فهو يحب أن يعفو عن غيره كما يحب أن يُعفَى عنه. وإذا كان يعلم أنَّ ارتشافه وارتواءه من كوثر العفو هو السبيل إلى خلاصه من نار المعاناة التي أشعلتها آلام المعاصي في دواخله، فهل يمكن له ألا يعفو هو أيضًا لا سيّما إذا أيقن أن العفو عنه يمرّ عبر طريق العفو عن الآخرين؟

لن ينال المغفرة إلا من يغفر، ومن لا يَغفِرْ فلن يُغفَر له، أما من يسدون طرق التسامح أمام الآخرين، فهم

إن الإنسان الذي لا يزال قلبه متعلقًا بطلبِ العفو عن أخطائه، لا يمكن أن نتصوره بعيدًا عن مشاعر العفو عن الآخرين أيضًا، فهو يحب أن يعفو عن غيره كما يحب أن يُعفَى عنه.

وحوش فَقدوا إنسانيتهم، وإن غلاظ القلوب الذين لم يَسبِق لهم أن تلوَّوْا بوعكات ذنوبهم، لن يتذوقوا ما في العفو من لذة سامية.

رأى السيد المسيح عليه السلام ذات يوم امرأة آثمة يسوقها الناس ليرجموها، فقال لمن احتشدوا هناك: "من كان منكم بلا خطيئة فليرم بأول حجر"، فهل يُتصوَّر من أي شخص أدرك الرسالة الدقيقة التي تنطوي عليها هذه العبارةُ المعبِّرة أن ينبري لرجم الآخرين وهو يعلم أن له رأسًا يستحق الشج قبل الآخرين؟! فيا ليت التعساء الذين يستهلكون أعمارهم في أيامنا هذه في سبيل مقاضاة الآخرين، يستوعبون هذه الرسالة.

صحيح أنه ينبغي أن يَلقَى المجرم جزاءه، وليس لأي شعور راقٍ -بما فيه الشفقة- أن يَحُول دون تطبيق هذا الحكم الذي نزل الأمر به من المقام السامي، ولكن ليس هناك حُكمٌ يقضي برجم مَن أدانتهم عداوتُنا وبغضاؤُنا، بل يستحيل ذلك، والحق أننا ما لم نحطم ما في ذواتنا من الأصنام بشجاعة كشجاعة إبراهيم عليه السلام، فلن نستطيع أن نتخذ قرارات صائبة، لا في حقنا ولا في حق غيرنا.

لقد ظهر العفو إلى الوجود بالإنسان، وبه وصل إلى الكمال، وتجلى بأرقى صوره في أعظم شخصية عرفها الوجود ﷺ.

وأما الحقد والكراهية والبغضاء فهي بذور جهنمية بَذَرَتْها الأرواح الخبيثة بين بني الإنسان، وعلينا أن نُنقذ إنساننا الذي يُساق نحو عواقب مجهولة في خضم ألفِ أزمة وأزمة، علينا أن ننقذه لنقاوم بذلك الذين ينفخون في كِير العداوة والبغضاء، ويحوّلون وجه المعمورة إلى مهاوي الجحيم. لقد لُوِّث القرنان المنصرمان على أيدي الذين لا يعرفون العفو والتسامح أيَّما تلويث!

hiragate.com

وشُوِّها أيَّما تشويه! وحينما يَرِد على بالنا احتمالُ أن يتحكم هؤلاء التعساء في مستقبلنا، فلا نتمالك إلا أن نرتعد فرقًا وتختلج قلوبنا. إن أكبر هدية يقدمها أجيالُ هذا العصر لأولادهم وأحفادهم، أن يعلِّموهم "فضيلة العفو"، وأن يدربوهم على الصفح عن أسوأ التصرفات وأشدِّ الأحداث إثارةً للغثيان.

أما التفكير في العفو عن تلك الأرواح الطاغية الثائرة التي تفترس الإنسان وتتلذذ بتعذيب الآخرين، فهو إهانة لمؤسسة العفو. أجل، إن العفو عنهم إهانة وتحقير للإنسانية، فضلاً عن أنه ليس من صلاحياتنا، ولا نعرف أحدًا يرى مثل هذه الإهانة أمرًا معقولاً.

لقد ترعرع جيل على تشجيع العداوة، ثم ألقي به في عالم ظلّ يشاهِد في حلباته مَشاهد الوحشية المروِّعة، فكان لا يرى إلا مناظر الدماء والصديد حتى في الأوقات التي تُضيء آفاقه وينبلج فيها فجر جديد. فهل كان لهذا الجيل أن يتعلم شيئًا من مجتمع يصوِّت بالدم ويتنفس بالدم ويفكر بالدم ويضحك بالدم؟

لقد كان ما يُقدَّم له مختلفًا تمامًا عما كان يتلهف إليه قلبه بفارغ الصبر، فاكتسب فطرة ثانية تحت تأثير الإهمال والتلقينات الخاطئة. وليتنا في هذا الوقت الذي صارت فيه الفتن سيلاً هادرًا والفساد طوفانًا كاسحًا، تَفَهَّمْنا مشكلاته على الأقل، ولكن هيهات هيهات، وأين نحن من تلك البصيرة؟!

إننا نؤمن بأن العفو والتسامح سيضمد كثيرًا من جراحنا، المهم أن يكون هذا السلاح السماوي في أيدي من يفهمون لغته ويحسنون استخدامه، وإلا فإن كثيرًا من المعالجات الخاطئة التي دأَبْنا عليها، ستضعنا أمام مضاعفات وتعقيدات كثيرة، وستجعلنا بعد هذا الحين أيضًا في حيرة وارتباك.

اِعرف المرضَ أوَّلاً ثم تصدَّ للتداوي،
هل تحسب أن كل مرهم لأي جرحٍ يداوي! (ضياء باشا). ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد: ١٤ (مارس ١٩٨٠). الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

ليتها أدركت

بُورٌ.. ومن فوقها الأغصان يابسة
لو جاء ألْفُ ربيعٍ دون إحساسِ
كأنها مأتم أقامه شجنًا
بعد الرحيل لنا جمعٌ من الناسِ
هناك تنتظر الأفْرانُ مَقدِمَنا
وتحتها فَغَرتْ أفواهُ إرماسِ
هذا نداء صدوق مَنْ يُبلِّغه
مِنْ واقع الحال؟ فافْهَمْ دون إلباسِ
***

د. عبد الكريم عكيوي*

قواعد البناء الحضاري

إن أول ما يخلص إليه من يقرأ كتب الأستاذ محمد فتح الله كولن، هو أن هذا الرجل من أصحاب الهمم العالية الذين آثروا الاشتغال بهموم الناس، والتفكير في أحوال أمته وأحوال العالم من حوله. لقد طرح اليأس من قلبه فراح يبذل وسعه في الدعوة إلى الخير وبذر الفضائل، فقدم المثال من نفسه على التضحية، وتحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الخير، والتواصل مع جميع العقلاء من أمم العالم، والتعاون مع كل ذي همة شريفة، ثم راح يدعو غيره ويستحث همم أهل الخير والفضيلة من حوله.

ولعلي أوفق إذا قلت إن خلاصة المشروع الفكري والعلمي والتربوي للأستاذ محمد فتح الله كولن يجتمع في أصلين اثنين؛ هما أصل وجوب الوعي بموطن الداء ورصد العلل لأن معرفة الداء وسببه وموضعه نصف الدواء، وأصل العمل بناء على هذه العلل ومداواة هذه الأسقام. وهذا كما عبر أصحاب الزهد والسلوك بقولهم "التخْلية ثم التحْلية"، أي معرفة الانحراف والمجاهدة في التخلي عنه، ومعرفة مقابله والمجاهدة في الاستقامة عليه. وهذا المسلك في كل عصر بحسبه ووفق ظروفه وأحواله. ومن هنا كانت الحاجة إلى معرفة المسلم أحوال عصره وظروف زمانه وحوادث إبانه. وعلى هذا المسلك راح الأستاذ كولن يرصد بدقة عالية علل الأمة ومعوقات سؤددها وموانع نهضتها، فاجتمعت عنده في الأمية والجهل، والفقر والحاجة، والاختلاف والتنازع. ثم توجه بالجدِّ والمجاهدة من أجل تحلية أمته بالعلم الذي هو جمال العقل، وفضاؤه المدارس والمعاهد والجامعات،

والاستجابة لحاجات الناس عن طريق العمل الاجتماعي والإحسان والتضامن وبذل المال كل واحد بحسبه، والتربية على الحس الاجتماعي عن طريق التربية الروحية والتزكية النفسية؛ لاتقاء أمراض القلوب من العجب والكبر والشهرة حتى تذوب "الأنا" في "نحن"، وتتحلل النوازع الفردية في الشخصية المعنوية للجماعة.

وجماع كل ذلك هو الإصغاء لمنطق العقل وتحكيم قانون العلم ومعرفة الطبيعة والإصغاء لسنن الكون والحياة، والتحليق في عوالم الروح وممارسة التفاعل الذوقي القلبي مع العالم من حولنا، والتأليف بين القلب والعقل، والغيب والشهادة، والجمع بين الحياة الدنيا حياة العمل والتكليف والحياة الآخرة حياة الحساب والجزاء، والتجمل بلباس حسن الخلق والحب والاهتمام والتسامح إزاء المخلوقات.

ولا ينسى الأستاذ كولن أن هذا المشروع عظيم، لا يناسبه إلا علو الهمة وصدق النية، ولن يستقل به جهد الفرد الواحد، وإنما هو عمل جماعة متساندة متكاملة الخبرات، بالغة أقصى الغايات في الحذر من هوى النفس. هؤلاء هم أصحاب المشروع، وهم "مجانين" في نظر أهل الهمم الفاترة التي تنهزم أمام هوى النفس كما هو حال الكثير من أهل هذا الزمان. فلمن أراد حمل هذا المشروع يقول: "تشبَّع بحب الله إلى حد الجنون..لا يغرنك عنه حسن ولا يفتننك عنه جمال.. ارق على كل المعدلات وتسام على كل المقاييس.. ارفع شعار الثورة ضد كل مألوف واهتف كما هتف الرومي "هلمّ إليّ يا إنسان"، ثم ادفن نفسك في غياهب النسيان.. ناد كما نادى بديع الزمان "وا إنسانيتاه"، ثم امض ولا تفكر بسعادتك الشخصية.. أجل انس رغد الحياة، انس البيت والولد، واسلك درب أهل السمو الواصلين لتكون من الناجين.

"مجانين أريد، حفنة من المجانين... يثورون على كل المعايير المألوفة، يتجاوزون كل المقاييس المعروفة. وبينما الناس إلى المغريات يتهفاتون، هؤلاء منها يفرون وإليها لا يلتفتون... أريد حفنة ممن نسبوا إلى خفة العقل لشدة حرصهم على دينهم وتعلقهم بنشر إيمانهم. هؤلاء هم "المجانين" الذين مدحهم سيد المرسلين، إذ لا يفكرون بملذات أنفسهم، ولا يتطلعون إلى منصب أو شهرة أوجاه، ولا يرومون متعة الدنيا ومالها، ولا يفتنون بالأهل والبنين".

فهذا هو مشروع إعادة البعث الحضاري، وهؤلاء هم رجاله الذين لا يجوز أن يبتعدوا كثيرًا عن الجيل الذهبي جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وكتاب "ونحن نبني حضارتنا" لا يخرج عن هذه القاعدة، فهو على وجازته خلاصة جامعة للأسس الفكرية والشروط العملية لإعادة بناء الحضارة، فهو عبارة عن قواعد كلية وأصول عامة.

وهذه القواعد منها ما ينتزع من كلامه وتعبيره، مثل قوله: "التعرف على صوت العصر مع الحفاظ على الأصل والذات"، ومنها ما ينتزع من خلال معنى يتكرر في الكتاب في أكثر من مناسبة مما يعطيه قوة في الحجة. إن البناء الحضاري كما وضعه الأستاذ فتح الله كولن وكما تصوره، يقوم على اثنتي عشرة قاعدة، على عدد العيون التي فجرها الله تعالى لموسى عليه السلام، فلعل هذه القواعد تتفجر في دنيا المسلمين اليوم فتروي ظمأ العالم وتشبع "الجوع القلبي والروحي" بتعبير الأستاذ فتح الله كولن.

١- امتزاج العقل والقلب وتلازم العلم والإيمان: ومنطلق هذه القاعدة هو الغلط العظيم والانحراف الكبير الذي طبع الحياة المعاصرة، وهو "الانصراف إلى إشباع الرغبات الجسمانية، في حين أن لهف الإنسانية أو حاجتها ترجع إلى الجوع القلبي والروحي". فالشرط الأول للنهضة المعاصرة، هو حصول اليقين بأن الجوع القلبي والروحي أعظم خطرًا من الجوع الجسمي، فتتوقف الحضارة والنهضة على التوحيد الفكري والنفسي بين الطبيعة والروح، ثم التنزيل العملي وممارسة الحياة اليومية، بالتفاعل والتمازج بين جمال الوجدان ورقة الروح وبين ضوابط العقل وصرامة أحكامه. فلا بد من التأليف بين رغبات الجسد وحاجات الروح، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، بين الوحي والعقل، بين علوم الكون وعلوم الوحي وإزالة هذا الفصام المتوهم والتمزق الموضوع زورًا وبهتانًا.

فهذا هو الميلاد الجديد المرتقب "تزاوج جديد بين القلب والعقل.. هذا الميلاد هو ميلاد ربط الوجود بمالكه الحقيقي حسب وعي العصر وإدراكه مرة أخرى

hiragate.com

بتفسير الوجود من جديد، وميلاد خلاص الإنسان من التناقضات الداخلية". فبهذه القاعدة تنسجم جميع جوانب الوجود وتتآزر قوى الإنسان الروحية والمعنوية والعقلية والمادية، وتتوحد العلوم فتكون بمنزلة لغات مختلفة، لكنها تترجم عن معنى واحد هو معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وكماله وجماله ومحبته، وما يلازم ذلك من محبة الخلق والسعي في مصالحهم.

٢- التعرف على صوت العصر مع الحفاظ على الأصل والذات: فالمسلم يكون ابن عصره وشاهد زمانه، يعرف لغته العلمية كما يعرف لغته البيانية، مع معرفة الذات والحفاظ على الماضي المكتسب، أي "جعل القديم أساسًا متينًا يقام عليه الجديد وتطوير القديم بمعطيات الجديد" حسب تعبير الأستاذ كولن.

٣- الاستجابة لمطالب البشر مع رضا الله تعالى: وهما أمران متلازمان تقتضيهما حقيقة الإسلام، لأن "القلب الذي يتوطد فيه الإسلام، يمتلئ بالحب والاهتمام والتسامح إزاء المخلوقات إجلالاً للخالق، والمصنوعات إجلالاً للصانع". فالإسلام يتطلع إلى "القيم العالمية في نقطة الالتقاء بين سعادة الناس ورضا الحق تعالى، لتتحقق إرادة الله تعالى الشرعية، وتتحقق مطالب البشر في آن واحد".

٤- اتقاء جميع أنواع العبودية: ومنها الهوى، والقوة، والشهرة، وغيرها، لأنها رعونات ومحبطات للأعمال. ولا يتحقق ذلك إلا بالعبودية للحق والمجاهدة فيها وما أعظمها من مجاهدة.

٥- العمل الجماعي والتكامل المعرفي: وهو اتقاء الأنانية والفردية، وتلاقح الأفكار وتكامل المعارف، واستنفار كل من له خبرة وقول في الموضوع. ومن جميل ما يلاحظ أن الأستاذ فتح الله كولن كان شديدًا في مراعاة هذا الأصل حتى صار ملكة له يجري على لسانه، ولا يفارق الحس الجماعي ما يسطره بقلمه. فتجده حاضرًا في عناوين كتبه عندما يصوغها بضمير الجماعة الذي يفيد الانتماء والاجتماع على العمل، فمن كتبه مثلاً "ونحن نقيم صرح الروح"، و"ونحن نبني حضارتنا". وأثناء صياغة العناوين الفرعية، نجد -مثلاً- في كتاب "ونحن نقيم صرح الروح": "أثناء استكشافنا

الإيمان الذي يستقر في القلب، لا معنى له حتى يثمر عملاً، والمعارف المستقرة في العقول، لا اعتبار لها حتى تتحول إلى قوة محرِّكة. فلا ينبغي الجمود عند العلم المجرد، وإنما مزج العلم بالعمل وتحويل المعلومات والمعارف إلى قوة محركة.

حراء

خط السير"، و"نحو عالمنا الذاتي"، و"فلسفة الحياة عندنا"، و"نحن نولي وجوهنا شطر أنفسنا". وفي تحريره لأفكاره وتفصيله لجزئيات كتبه، تجد الكلام بضمير الجماعة غالبًا، وبهذه النفس صاغ كتابه "ونحن نبني حضارتنا"، وهو ظاهر فيه بما لا يحتاج معه إلى التمثيل، بل ليس في الكتاب كلام بضمير المتكلم.

٦- الحذر من هوى النفس وميل العواطف: وذلك بملازمة قواعد التربية الروحية والتزكية النفسية واتقاء أمراض النفوس. فالتربية هي التي تحمل على الحذر دائمًا من أيّ انزلاق أو انحراف بملاحظة احتمال الضعف البشري، وفي حال التعثر، المبادرة بالاعتراف والتوبة والإنابة.

٧- العمل بالهدف والمقصد: لأن المقصد والحكمة مطلب عقلي وخلق إيماني. وذلك من مقتضى التخلق بالحظ البشري من اسم "الحكيم". فكما تتجلى الحكمة في أوامر الله تعالى وتصرفاته وأفعاله، فليحرص العبد على العمل بالحكمة، والتدبير والتنظيم، وتحديد الغايات، واعتبار المآلات. فالمسلمون في هذا الزمان ملزمون بفتح مراكز التخطيط، وضبط الدراسات المستقبلية، وغيرها مما يفتحه العصر الحاضر من وسائل الإدارة وتدبير الأعمال، حتى تؤتي الوسائل المتوفرة أهدافها، وتحقق غاياتها.

٨- عشق العلم وشوق البحث: بأن يكون العلم جهادًا، وفضاءاته أماكن للعبادة، ومختبراته محاريب للطاعة والقربى، والبيئة مشاتل للعبقرية، والعالِم من أهل الحظوة، والمتفوق من أهل المكافأة والتشريف. ومن لوازم ذلك أن تتوجه الأمة كلها إلى التعليم والبحث، مع اليقين بأن بناء مدرسة، أو تأسيس جامعة،

hiragate.com

أو فتح مركز للبحث والدراسة في مجالات العلم المختلفة التي تحتاجها الأمة، لا يقل في الأجر عن تجهيز جيش لمعركة حاسمة يرفع بها الظلم وتسترد بها الحقوق. فالعلم والبحث وجه من وجوه الجهاد، ومن ظن أن الخروج في طلب العلم، وأن ملازمة مراكز البحث ومختبرات المعرفة ليس بجهاد، فقد ناقض أمر الله تعالى في كتابه، وتنكب عن الهدي النبوي الذي رفع العلم والعلماء إلى المقام الأعلى والمكان الأسمى.

٩- ضبط الفضاء العام وغربلة البيئة: فالفضاء العام موطن للتربية لا بد أن ينسجم مع المدرسة. ثم إن الوسط المناسب شرط للعبقرية والنبوغ. فهناك قدر كبير من التعلم لا يكون في الأسرة ولا في المدرسة، وإنما يتم في الوسط الاجتماعي. و"التعلم الاجتماعي" هذا مرحلة من مراحل التعليم، والوسط الاجتماعي فضاء للتربية تستعمل فيه تلقائيًا قوانين الملاحظة والمعاينة المتكررة، وعن طريقها يكتسب الإنسان -خاصة في مرحلة الطفولة- كثيرًا من قواعد السلوك والقيم. فلا بد من العناية البالغة بالفضاء العام حتى يكون صالحًا للتعلم الاجتماعي.

١٠- النية الحسنة مع الضبط والخبرة: فهذان ركنان يقوم عليهما الإتقان والإحسان، وتتم بهما جودة العمل واستقامة سير الحياة. فأي "نشاط أوحركة معينة مهما تمثلت بمشاعر مخلصة، قد لا تكون بنّاءة دائمًا. إن النية الخالصة جديرة بالتقدير باعتبارها بُعدًا معنويًّا في الأعمال الصائبة، لكن لا تحمل المعنى نفسه البتة إذا كانت وصفًا من أوصاف العمل الخاطئ". فكل عمل أو مهمة أو وظيفة، لابد فيها من هذين الركنين، ولا يكفي أحدهما عن الآخر بحال، وبتخلف واحد منهما يختل العمل ولا تتحقق النتائج المرجوة. فالأمانة والنية الحسنة، هي التي تعصم من الخيانة وسوء القصد. ومعلوم أن الخيانة وسوء القصد أصل الخلل وسبب الفساد. وبالضبط والخبرة والتخصص، ينتظم سير العمل وتحترم قوانين العلم. وإذا تخلف الضبط والخبرة اختل العمل، حتى ولو كان القائم به ورعًا أمينًا حسن النية. وأصل هذا في القرآن الكريم قول الله تعالى في حكاية قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(يوسف:٥٥)، فجعل سبب استحقاقه الولاية على خزائن الأرض والإشراف على مهمة الاقتصاد والزراعة في مصر، جمعه بين هذين الركنين وهما الحفظ والعلم. أما الحفظ فهو الأمانة التي تجعله يحفظ عمله، وحسن النية والقصد إلى أداء مهمته بإحسان وإتقان، والحذر من الخيانة والغلول. وأما العلم فهو الخبرة بشؤون الزراعة والتخصص في أمورها.

١١- رصد شروط النهضة التي مضت في تاريخ الأمة: فلا بد من الحذر من اصطناع التعارض بين الحاضر والماضي، وإنما المطلوب استحضار الصفحات المشرقة والإفادة منها في معرفة أسباب الرقي والنهضة. وهذا هو المعنى الحقيقي لمحبة السلف والاقتداء بهم، من نشر الخير ومحبتهم للخلق، والعلم والمعرفة والتفاني فيهما، والتواصل والتعارف، واستحضار نفس الجماعة، وتعهد النفس بالتربية والتزكية. وقد اجتهد الأستاذ فتح الله كولن في رصد ما تحلى به الصحابة الكرام -الذين وصفهم بالمهندسين العظام لتاريخ أمتنا- مما هو أعظم مجال للمنافسة بين المسلمين في التأسي والتحلي.

١٢- التحقق بحقيقة الإسلام والإيمان في الشمول والسعة والعمل والحركة: فالإسلام والإيمان لهما مفهوم عملي، وهما أحكام تجري في اليوم والليلة في كل فضاءات الحياة. فالإيمان الذي يستقر في القلب، لا معنى له حتى يثمر عملاً، والمعارف المستقرة في العقول، لا اعتبار لها حتى تتحول إلى قوة محرِّكة. فلا ينبغي الجمود عند العلم المجرد، وإنما مزج العلم بالعمل وتحويل المعلومات والمعارف إلى قوة محركة. وبتعبير آخر للأستاذ فتح الله كولن، أن يكون المسلم والإسلام "صرحًا للإيمان والحركية" كما كان رسول الله ﷺ، وهذا هو المعنى الحقيقي للاقتداء والتأسي بالرسول الكريم ﷺ. فالإسلام "إيمان، وعبادة، وأخلاق، ونظام يرفع القيم الإنسانية إلى الأعلى، وفكر، وعلم، وفن. وهو يتناول الحياة كلاً متكاملاً.. الإسلام موجود وحركي في الحياة بكل مساحاتها، من القضايا العقدية إلى الأنشطة الفنية والثقافية.. وذلك هو أهم الأمارات والأسس لحيويته وعالميته الأبدية". ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير / المغرب.

hiragate.com

أ.د. محي الدين عفيفي*

إن المنتصر الحق مَن هزم نفسه، أما الأرواح التي لم تتخلص من أسر النفس ورغباتها، فهي مهزومة حتى لو فَتحت العوالم كافة.

الموازين

الحوار ضرورة عصرية

لا جدال في أن الحوار قد أصبح أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة. ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان، كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان، وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس.

والموقف الإسلامي -في أي حوار ديني- موقف منفتح على الآخرين ومتسامح إلى أبعد الحدود. فقد أقر الإسلام منذ البداية، التعددية الدينية والمذهبية والثقافية، وصارت هذه التعددية من العلامات المميزة في التعاليم الإسلامية. والواقع أن قضية الحوار

لقد استقر في الضمير الإنساني منذ فجر الحضارات البشرية أن العدل أساس الملك، وأن تحقيق العدالة في أي مجتمع إنما هو الأساس في كونه مجتمعًا إنسانيا، يراعي فيه الجميع حقوق الجميع، ولا يعتدي فيه أحد على أحد

قد أصبحت تشكل في عالم اليوم ضرورة من ضرورات العصر، للتغلب على العديد من المشكلات الحياتية على جميع المستويات. يقول عالم اللاهوت الألماني المعروف "هانز كونج": "لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان".

إننا نعيش اليوم في عصر ليس فيه مكان للانعزال والتقوقع حيث أصبح العالم مثل "القرية الكونية".

إن مستقبل الإنسانية يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب. إن التفاهم والتعايش بين طرفين مختلفين في الفكر والعقيدة، لا يتحقق إلا إذا توافر لدى كل منهما رغبة في العيش المشترك، وتسامح حول الأمور المختلف فيها، وقبول من الطرفين بالتعددية العقائدية. ولا يكفي أن يؤمن بالتعايش والتسامح طرف واحد بينما الطرف الآخر ينكر ذلك.

وكيف لنا أن نتصور قيام تعايش بين إنسان راغب فيه، ومؤمن بوجوبه، وصادق مخلص في سلوكه إليه، وآخر يرفض ذلك ويعتقد أنه من أمة تَفضُل جميع الأمم؟! كيف يمكن لإنسان سوي بتفكيره، إنساني بنظرته، متسامح بسلوكه، أن يعيش أو يتعايش مع هذا النمط من الناس؟! إن الحياة المشتركة مع الآخرين، تحتاج من جميع الأطراف أن يقبلوا التعايش مع التزام العدل والمساواة والسماحة والاحترام المتبادل.

إنه ليس من التسامح في شيء أن نقف موقف المتفرج حيال القسوة والظلم وغير ذلك مما يتعرض له الناس، بصرف النظر عن العرق أو اللون أو العقيدة. إنه برغم بلوغ الإنسان المعاصر ذروة التقدم العلمي، إلا أنه لم يصل إلى السعادة المنشودة والاطمئنان والسكون، ولن يصل حتى يحقق متطلبات الأمن الحضاري والأمن الروحي. وعلى الرغم من تطور حياة الإنسان وانطلاقه نحو آفاق بعيدة المدى في تحقيق أسباب الرفاهية والدعة، فإنه لم يبلغ كنه السعادة بعد، بل إنه لم يزد إلا ضحالة وبعدًا عن سبيلها.

لقد تمكن الإنسان بتقدمه العملي والتكنولوجي أن يحقق لنفسه تيسير المعيشة من الناحية المادية، وكان يظن أن ذلك هو نهاية المطاف؛ لأنه أنكر الاعتراف بالروح، وكلما أهمل الإنسان روحه ولم يقم لها اعتبارًا، وراح يشبع رغبات الجسد والمادة، زادت حياته سوءًا وترديًا وافتقادًا للاطمئنان والسعادة. وقد أدى ذلك إلى أزمات في حياة الإنسانية، ومن أبرزها القلق، والحيرة، وتعاطي المخدرات، والظلم والإرهاب، واكتفى العالم الحر بمشاهدة مآسي الحروب في العالم الثالث دون التدخل لنزع فتيلها وإيجاد الحلول المناسبة لها، بل لقد تم استغلال الصراع لتحقيق أطماع مختلفة. والأديان قادرة على تغيير السلوك الإنساني وتحقيق التوازن والانضباط فيه.

لقد كثر الحديث في جميع المحافل المحلية والإقليمية والدولية حول حقوق الإنسان، لدرجة يتصور المرء معها أنه لم يكن هناك من قبل مراعاة لحقوق الإنسان على وجه الإطلاق.

إن كثرة الحديث عن حقوق الإنسان إنما يعني ضمن ما يعني أن الإنسان المعاصر يفتقد الشعور والوعي بهذه الحقوق، ومن ثم يذكّر نفسه بها، ثم لا يكتفي بالتذكير والتذكر، فيسجل هذه الحقوق في عهود ومواثيق عديدة وقعت عليها كل دول العالم. وكم تحدث عنها المتحدثون عن حقوق الإنسان، وحللها المحللون من الفلاسفة والمصلحين، وبذلوا جهودًا كبيرة في صياغة هذه الحقوق وتحسين هذه الصياغات، حتى وصلت إلى صياغات دقيقة اتفق عليها الجميع.

والحقيقة التي ربما تكون قد غابت عن كل هؤلاء، أن هذه الحقوق التي يتحدثون عنها، إنما هي حقوق فطر الله الناس عليها، وأن البشر منذ حضاراتهم الأولى في الشرق القديم قد أدركوا هذه الحقوق وحافظوا عليها، وعبروا عنها في رواياتهم وكتاباتهم، وفي معاهداتهم ووثائقهم الدبلوماسية، كما كشفت عن ذلك بعض

hiragate.com

المعاهدات التي عقدت بين الدول والشعوب القديمة.

إن القارئ لتلك التشريعات ولنصوص هذه المعاهدات، يكتشف أن الإنسان القديم قد أدرك جيدًا حقوقه، وعرف جيدًا واجباته إزاء غيره من البشر. وقد ترسخ هذا الوعي عبر العصور من خلال تعاليم الديانات السماوية، وخاصة الدين الإسلامي الذي قدم أدق صور الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية، حيث طالب أتباعه والمؤمنين به بالحفاظ عليها، ووعدهم على ذلك بالثواب في الدنيا والآخرة.

ولا شك أن فلاسفة الغرب المحدثين من أمثال جان جاك روسو، وفولتير، ومونتسكيو، قد لعبوا دورًا كبيرًا في إيقاظ وعي الأوربيين نحو الحقوق الأساسية للإنسان، وعلى رأسها حق المساواة والحرية والإخاء والعدالة، وقد تطور هذا الوعي حتى صيغت تلك العهود والمواثيق الدولية. ولكن الممارسة الفعلية وخاصة في عصرنا هذا، قد كشفت أن الخطاب النظري الذي كرسته هذه العهود وتلك المواثيق وما صاحبها من شروح وتفسيرات في واد، والأفعال التي يمارسها البشر في حق بعضهم البعض في واد آخر.

وكم تغنى قادة البلاد الغنية بما تعيشه بلادهم من حريات ومن رعاية لحقوق الإنسان، وكم كان حلمًا جميلاً لكل إنسان على ظهر هذا العالم وخاصة في بلاده النامية أو المتخلفة، أن يعيش في تلك البلاد التي هي رمز الثراء والحرية واحترام الحقوق. لكن كل ذلك انهار تحت وطأة عدم الاهتمام بمآسي الشعوب الفقيرة التي يفر منها الملايين بسبب الحروب والأعمال الإرهابية.

لقد استقر في الضمير الإنساني منذ فجر الحضارات البشرية أن العدل أساس الملك، وأن تحقيق العدالة في أي مجتمع إنما هو الأساس في كونه مجتمعًا إنسانيا، يراعي فيه الجميع حقوق الجميع، ولا يعتدي فيه أحد على أحد. ولقد راعت المجتمعات الإنسانية تحقيق العدالة بين أفرادها، من خلال ما سنته من قوانين وتشريعات وضعية قامت على إدراك فطري للضرورة الإجتماعية القائمة على العدل بين الناس كأفراد وكجماعات. ■

(*) الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية / مصر.

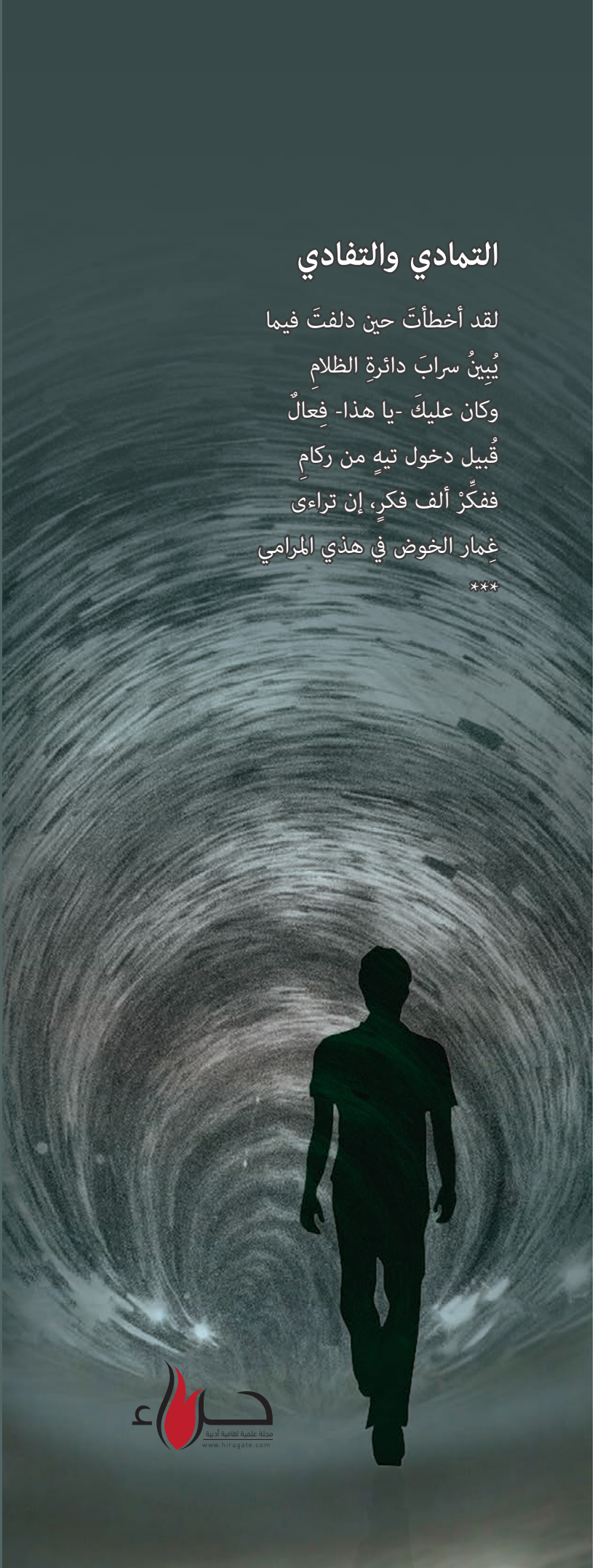

د. ناصر أحمد سنه*

التئام الجروح والكسور

يتكون الجلد من طبقتين؛ البشرة وهي الطبقة الخارجية، والأدمة وهي الطبقة التي تقع أسفل البشرة. وجروح الجلد قد تكون مغلقة حيث يبقى السُمك سليمًا، ويسببها احتكاك أو اصطدام بجسم غير حاد يؤدي لسحجات وكدمات وأنزفة قد تصل لتكيس دموي تحت الجلد، وقد تكون جروحًا مفتوحة وغالبًا ما ترتبط شكلاً وخطورة بمسببها، ومنها: الجروح القطعية وأكثرها نزفًا خارجيًّا، والوخذية، والنافذة، والثاقبة، والتهتكية، والنزعية، والتقرحية، والتسممية.. ويحدث التئام الجروح الأولي (Primary)، والثانوي أو المتأخر (Secondary/Delayed)، تبعًا للتدخل العلاجي. فإذا كانت الجروح صغيرة وغير ملوثة، فإن انفراج حافتي القطع يكون صغيرًا والتئامه تلقائيًا. أما الجروح القطعية الكبيرة والحديثة -التي لم يمر عليها ١٢ ساعة- فانفراجها تباعديًّا، ويستلزم إيقاف النزف الشديد، ورتق أو تقطيب جانبي القطع لتلتئم أوليًّا في غضون ٧-١٠ أيام. أما التي لا تضمد أو تترك عن قصد غير مقطبة فتلتئم ثانويًّا وقد يستمر لأسابيع أو شهور، وقد تُنقل رقعة جلدية لتغطية جرح كبير أو لجرح لا يلتئم بالصورة المطلوبة.

عملية التئام الجروح

عملية التئام الجروح (Wound Healing) طويلة ومعقدة، وغايتها إصلاح ما تلف. وتمر بمراحل حيوية منظمة ومتناسقة ومتتالية: المرحلة الالتهابية، ووقف النزف

وتخثر الدم (Hemostasis)، ومرحلة النمو والانقسام (Pro-liferation)، ومرحلة البناء والتنظيم والنضج (Maturation).

ففي المرحلة الأولى تنقبض الأوعية النازفة بتأثير البروستاغلاندينات، والثرومبوكسين، وتنشط عوامل التخثر ليحدث خلال الدقائق الأولى لحدوث الجرح؛ حيث تقوم الصفائح الدموية بالتجمع والالتصاق، ويطرأ عليها تغيرات نشطة، وتصبح غير منتظمة الشكل. وتفرز رسائل أو إشارات كيميائية تعزز التخثر. فلتكوين الخثرة خطوات متدرجة ومتداخلة ومتكاملة ومتسارعة، تشترك فيها الصفائح الدموية، وأملاح وبروتينات الدم، وأنزيمات نشطة (بروثرومبين، وثرومبين)، وكذلك تفعيل "الفيبرينوجين" إلى "فبرين" (Fibrin)، يكوِّن شبكة لاصقة تربط بين الصفائح الدموية. إن الخثرات تعمل كسدادات للأوعية الدموية النازفة، وخلال فترة الالتهاب تهرع كريات الدم البيضاء لتهاجم البكتيريا، وتزيل الخلايا الميتة والبكتيريا وحطام "المعركة" عبر البلعمة (Phagocytosis) وبحضور أنزيم "البروتييز" (Proteases).

وفي مرحلة الانقسام، تُفرز عوامل نمو من الصفيحات لتحث على هجرة الخلايا وانقسامها. ولنمو نسيج ليفي ضام جديد، تتكون خلال ٢٤ ساعة أوعية دموية جديدة.. وتزداد في الطول بسرعة، وتشق طريقها في الجلطة الدموية التي تملأ الجرح، حيث تصبح الجلطة كشبكة من الأوعية الدموية الجديدة الصغيرة. وبداخل الشبكة تظهر الملايين من الخلايا الطويلة الرقيقة لتبقي جانبي الجرح ملتصقين متواصلين. يسمى خليط الأوعية الدموية وخلايا النسيج الضام بـ"النسيج الندبي"، ويتعزز نمو هذا النسيج الضام، ليشكل غطاءً واقيًا ووقائيًا للجرح. كما تتكوّن قشرة (Scab) على سطحه، وكسقف مؤقت يظلل يحمي "سريان عمل" الالتئام.

تتم عملية التنظيم والنضج النسيجي، عبر إعادة ترتيب ألياف الكولاجين، واضمحلال الخلايا غير المفيدة عبر موت برمجي (Apoptosis). كما يتم إحلال النسيج الندبي ببطء بنسيج ليفي قوي، ويعاد تكوين نسيج الظهارة (Epidermis) عبر نمو وزحف خلاياه لأعلى الجرح، مغطية الأنسجة الضامة الجديدة. وتتقلص منطقة الجرح، وتنقبض حوافه بتقلص حجم الألياف الضامة. وبالتالي تسعى أنسجة الجرح لتكون أكثر ليونة ومرونة، وخلال أيام يلتئم تمامًا تاركًا ندبة صغيرة. وحين تسقط القشرة، فإن النسيج الالتئامي يرى كخط قرمزي، وخلال أسابيع أو شهور، يتغير لونه إلى الأبيض، وتحدد الندبة أثر الجرح إلى الأبد.

التئام الكسر

يتنوع تصنيف كسور العظام، فمنها الكسور غير الكاملة، والكسور الكاملة. يعتمد التئام وإعادة تجديد العظم، على طبيعة الكسر. وبعد التدخلات الطبية اللازمة لتثبيت ما يلزم تثبيته يتأتى التئامها التئامًا فسيولوجيًّا ذاتيًّا، وتعتمد تلك العملية اعتمادًا أساسيًا على "السمحاق" (Periosteum) وهو غشاء نسيجي ضام يغلف الطبقة الخارجية للعظام، ويعدّ مصدرًا من مصادر الخلايا الطليعية التي تتحول إلى أورمات غضروفية وعظمية ضرورية للالتئام، كما يعد كل من النخاع العظمي، والبطانة العظمية، والأوعية الدموية الصغيرة، والأورمات الليفية، مصادر أخرى لهذه الخلايا الطليعية.

وهناك ثلاث مراحل رئيسة لالتئام الكسر، يمكن تقسيم مرحلتين منها إلى أقسام تحت فرعية ليكون المجموع خمس مراحل وهي: المرحلة التفاعلية أول الالتهاب، والنسيج الحُبَيبي، والمرحلة الترميمية وتشكل ثقن الغضروف، وترسب العظم الصفائحي، ومرحلة إعادة تشكيل كِفاف العظم الأصلي.

ففي المرحلة التفاعلية يكون أول تغير -ويرى عبر الفحص المجهري الإلكتروني الضوئي- هو وجود كريات دم ملاصقة لمكان الإصابة، ويتبع الكسر انقباض الأوعية الدموية لوقف أي نزيف. وبعد الكسر ببضع ساعات، تُشَكل خلايا الدم التي تقع خارج الأوعية الدموية جلطة دموية أو ورمًا دمويًّا، وتتحلل الخلايا المتواجدة في الجلطة الدموية وتموت، وكذلك تموت بعض الخلايا الواقعة خارج الجلطة الدموية الملاصقة لمكان الإصابة، بينما تنجو وتتضاعف الأورمات الليفية داخل هذه المنطقة لتُشكل تكدسًا خلويًّا مرخيًا متخلل فيما بين أوعية دموية صغيرة هي النسيج الحُبَيبي.

أما المرحلة الترميمية فتأتي بعد الكسر بعدة أيام،

hiragate.com

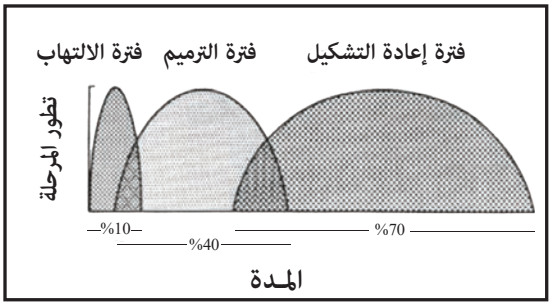

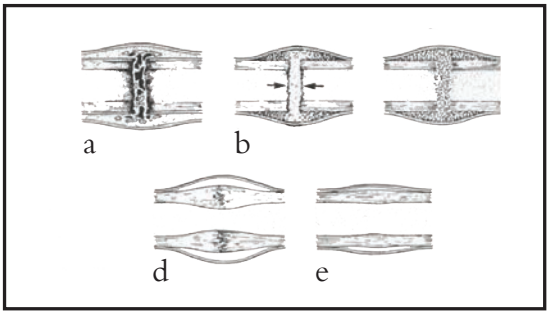

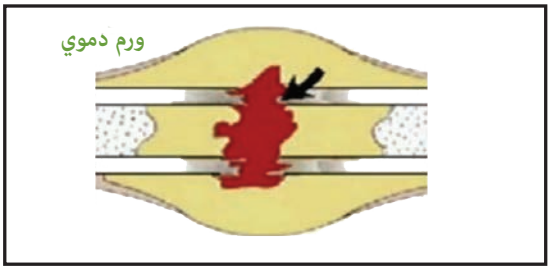

مراحل التئام العظم الثانوي

وفيها تتضاعف خلايا السمحاق وتتحول، فتتغير الخلايا السمحاقية القريبة من فجوة الكسر لأورمات غضروفية، وتكوّن غضروفًا هياليًّا (زجاجيًّا). لكن الخلايا السمحاقية البعيدة عن فجوة الكسر، تتحول لأورمات عظمية لتكوّن العظم المحبوك. كما تتحول الأورمات الليفية المتواجدة في النسيج الحُبَيبي لأورمات غضروفية لتشكل -أيضًا- غضروفًا زجاجيًّا. وينمو هذان النسيجان الجديدان حتى يلتئمان مع نظيريهما من أجزاء الكسر الأخرى. وتبلغ هذه العمليات ذروتها في كتلة جديدة من الأنسجة المتغايرة المنشأ، وتُعرف بـ"ثقن الكسر". وفي النهاية تُسد فجوة الكسر عن طريق الغضروف الزجاجي والعظم المحبوك؛ مستعيدًا العظم بعضًا من قوته الأصلية.

وتعد المرحلة التالية، مرحلة إحلال العظم الصفاحي محل الغضروف الزجاجي والعظم المحبوك. وتُعرف

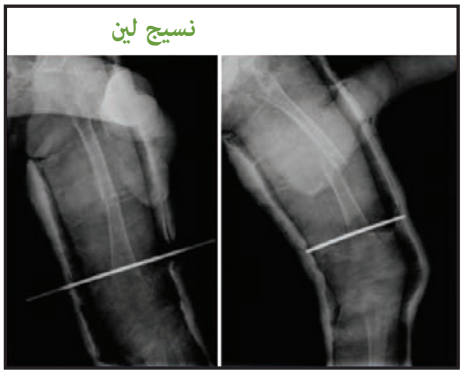

عملية إحلال المحل؛ بالتعظم الغضروفي بالنسبة للغضروف الزجاجي، أو الاستبدال العظمي بالنسبة للعظم المحبوك. ويبدأ العظم الصفاحي في التشكل بعدما يتمعدن (بترسب الكالسيوم) قالبًا الكولاجين للنسيجين، وفي تلك اللحظة، تخترق القنوات القالبان الممعدنان وتحتوي كل من هذه القنوات أوعية مجهرية وأورمات غضروفية عديدة. وتشكل الأورمات الغضروفية عظم صفاحي جديد على السطح المكشوف للقالبين الممعدنين، ويكون العظم الصفاحي الجديد على هيئة عظم تربيقي. وفي آخر الأمر، يحل العظم التربيقي محل كلٍّ من العظم المحبوك وغضروف ثقد الكسر الأصلي؛ مسترجعًا العظم معظم قوته الأصلية.

وفي مرحلة إعادة التشكيل، يحل العظم المكتنز محل العظم التربيقي، عبر ارتشاف الأورمات العظمية للعظم التربيقي، مكونة وحدة ارتشاف مسطحة جوبة هاوشيب، ثم تُرسب الأورمات العظمية العظم المكتنز داخل وحدة الارتشاف. وفي النهاية، يعاد تشكيل ثقد الكسر تشكيلاً جديدًا يقارب قوة وهيئة العظم الأصلي. وقد تأخذ مرحلة إعادة التشكيل ما بين ثلاث إلى خمس سنوات. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

معصوم محمد خلف*

الإنسان والأمانة الإلهية

منذ أن خلق الله ﷻ البشر على وجه البسيطة وهم يعيشون في صراعات، ضاربين بعرض الحائط كل الأعراف والقوانين السماوية التي تنص على إقامة العدل والمساواة، ويودي هذا الصراع بحياة الأبرياء والمساكين، فضلاً عن اقتطاع الحقوق من أصحابها، وهتك الأعراض، وتشريد الشعوب، مما يجعل من الحياة عبئًا ثقيلاً لا يقوى على تحمله الكائن الهزيل الذي هو الإنسان.

ومن حكمة الله تعالى ورحمته بنا، أرسل إلينا علماء مخلصين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويزيلون من أمام أعيننا تلك الغشاوة التي تحجب النور، فيعالجون

الإنسان خليفة الله في الأرض، ومظهر لعدالته سبحانه، ولسان الكون الناطق بحمده وتسبيحه والإيمان به سحانه، عن طريق تنفيذ أوامره وتطبيق شرعه والاهتداء إلى ألوهيته ووحدانيته.

أمورنا الدينية والدنيوية بعقلانية واضحة وحجة بالغة بعيدة عن الرياء، كما يقدمون الطرق الكفيلة والميسرة في النصح والرشاد، وإظهار النية السليمة أمام الحقيقة الناصعة، لنتجنب الدخول في مزالق الردى، ونتّبع الطريق الذي يسلكونه نحو الفضيلة والتعاون والتسامح والإخاء. ذلك الينبوع العذب الذي يروي ظمأ قلوبنا بحلاوة الإيمان، ويزرع في عقولنا اليقين التام لصاحب الوحدانية والربوبية المطلقة.

ذاك القلب المعطاء الذي يعلمنا بأن الحياة تسامح وكفاح وإخاء وتآلف وتعاون، نحو بناء مجتمع الحضارة والرقي، منطلقًا من الأمانة الإلهية التي أُلقيت على كاهل هذا الإنسان، فإن صلح للأمانة صلحت معه الأمور برمّتها ، وإن تركت دون القيام بحقها كانت لنا شقاءً وتخلفًا على مر السنين.

وعندما خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأخبر ملائكته أنه سيجعله خليفته في الأرض قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٣٠). إنه لا يخفى عليه أن استخلاف آدم عليه السلام في الأرض يشتمل على معنى سام من الحكمة الإلهية التي خفيت حتى عن الملائكة.

إن الله ﷻ حينما تعلقت إرادته بإيجاد هذا الكون بما فيه من الموجودات، ليجعل الإنسان سيد هذا الكون ويجعل سائر مظاهر الكون وموجوداته مسخرة له وقائمة بخدمته، وليوكل إلى الإنسان عمارته وأمر تنظيمه.. فذلك هو معنى الخلافة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:٣٠)، فكان أن جهّز هذا المخلوق بمجموعة من الملكات والصفات، لا بد منها لتتكامل لديه القدرة على إدارة هذا الكون وتعميره واستخدامه.

فالإنسان في كينونته الذاتية عبدٌ مملوكٌ لله ﷻ، خلق من ضعف وينتهي إلى ضعف، ولكنه نظرًا للرسالة التي حملها يتمتع بصفات نادرة جهّزه الله ﷻ بها فاستأهل بموجبها الرفعة والتكريم إن هو استعمل تلك الصفات على وجهها الصحيح. فبث الله تعالى فيه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والإدراك والقدرة على تحليل الأشياء، وسبر أغوارها والوصول إلى ما ورائها، وبث فيه أسباب القوة ومقومات التدبير وما يتفرع عنهما من النزوع إلى السيطرة والعظمة والجاه.

ثم بث فيه مجموعة من العواطف والأشواق والانفعالات المتممة لقيمة تلك الصفات وفوائدها، كالحب والكراهية والغضب، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾(الأحزاب:٧٢).

وأما وجه تركيز القرآن من تلك الحقيقة، والاستمرار في تذكير الإنسان بضآلته وتفاهة أصله، إلى جانب تذكيره بالمكانة التي يتبوؤها، وبأهمية وجوده وخطورة الصفات النادرة التي رُكّبت فيه، والوظيفة التي كُلّف بالنهوض بها، فلأن رجل الحضارة الإنسانية في القرآن، هو ذلك الذي رُبي في ظلال هاته الحقيقة، وعاش يستلهم غذاءه التربوي من معرفة أصله وحقيقته وضآلة شأنه وذلّ نهايته، ثم من معرفة ما قد أنعم الخالق ﷻ عليه، وما قد أكرمه به من سمو في الرتبة والمكانة، وما شرّفه به من مسؤولية إنشاء الحضارة الإنسانية وعمارة الأرض.

الإنسان خليفة الله في الأرض، أي إنه جلّت قدرته شاء أن يكون الإنسان مظهرًا لعدالته سبحانه، وأن يكون لسان الكون الناطق بحمده وتسبيحه والإيمان به، وذلك عن طريق تنفيذ أوامره وتطبيق شرعه والاهتداء إلى ألوهيته ووحدانيته.

والإنسان في القرآن موصوف بصفتين: الأولى لبيان

hiragate.com

أصله وحقيقته كي لا يتجاوز حدود عبوديته لله ﷻ. والثانية لبيان مركزه من هذا الكون كله ومستواه بين الخليقة أجمع. والإنسان عبد الله خُلق ليكون مظهرًا لألوهيته ﷻ، وما صفة الخلافة فيه وتكريمه على سائر المخلوقات وتسخير الكون له، إلا وسيلة يحقق عبوديته لله تعالى بالكسب والممارسة والاختيار كما خلقه عبدًا له بالجبر والاضطرار.

لقد خلق الله الإنسان وقرن به مهمة كبرى لم يشرف بها أحدًا دونه، ألا وهي ممارسة العبودية لله ﷻ بسلوكه الاختياري، كما قد طبع بحقيقة العبودية له في واقعه الاضطراري. وبذلك يغدو الإنسان -من حيث وجوده الفردي والاجتماعي- أبرز الآيات الكونية الناطقة بوجود الله ﷻ وألوهيته. وهكذا فإن ظهور عبودية الإنسان لله هو الوجه الثاني لتجلي ربوبيته ﷻ، بينما ممارسة الإنسان لهذه العبودية من خلال سلوكه الاختياري، تتوقف على قدرات وصفات معينة لا بد أن يتجهز بها، ثم إنها لا تتحقق بمعناها الدقيق وهو الخضوع المطلق للمعبود، إلا من خلال قيامه بواجبات تنطوي على قدرٍ من الكلفة والمشقة وهي المعني بكلمة "التكاليف"، ولن يمكنه النهوض بها إلا من خلال نسيج متعاون تسري خيوطه بينه وبين بني جنسه، وإنما سبيل ذلك أن يقبل الإنسان متعاونًا مع إخوانه إلى عمارة هذه الأرض بمعناها الحضاري الشامل، وإن صادفته المغريات وطافت من حوله الشهوات، وتعرض للمصائب والآلام، فلا تحرفه الملهيات ولا المغريات ولا تصده المصائب والآلام بشدائدها، بل يظل ثابتًا خلال ذلك كله على تنفيذ ما ألزمه الله تعالى من الانضباط بالصراط السلوكي الذي اختطه له وكلّفه بالسير عليه. فإن أورده هذا الصراط على النعم تمتّع بها شاكرًا، وإن زجّه في مآس ومصائب تقبلها صابرًا، وتلك هي حقيقة الاصطباغ بالعبودية لله ﷻ من خلال السلوك الاختياري للإنسان في فجاج الحياة.

إن الإنسان مفطور على جملة من الصفات والطبائع التي من خلالها يتمكن من عمارة الكون، وهذه الصفات والطبائع لا يمكن أن تؤدي عملها الصالح في عمارة

الإنسان مفطور على جملة من الصفات والطبائع التي من خلالها يتمكن من عمارة الكون، ولا يمكن أن تؤدي هذه الصفات والطبائع عملها الصالح في عمارة الكون، إلا بوجود رقابة عليا، وكان صاحبها مستشعرًا ذلك.

الكون على نحو تسعد به الإنسانية، إلا بوجود رقابة عليا على هذه الصفات، وكان صاحبها مستشعرًا وجود تلك الرقابة، إذ إن تلك الصفات والطبائع إذا تركت وشأنها، كانت منبعًا للشرور وأسبابًا للشقاء أكثر من أن تكون سبيلاً للخير والسعادة. فصفة العقل أو العلم، تنقلب إلى شبكة تصطاد بها كرامة الإنسان وحياته، ومزية القوة وأسبابها، تنقلب إلى عواصف هوجاء تضرب الجماعات الإنسانية ببعضها.

فإذا تأمل الإنسان في هذا كله وآمن به إيمانًا جازمًا قائمًا على أساس من البحث العقلي المتأمل الحر، شعر في أعماق كيانه بأنه عبدٌ لهذا الإله الواحد العظيم، وأصبحت هذه الصفات الهامة التي يتمتع بها، أقل من أن تتجاوز به حد عبوديته، وما هي إلا أن تنقلب فتصبح وسيلة عظمى لسعادته من حيث إنه فرد، ولسعادة بني جنسه من حيث الجماعة، وتقوم بين الناس وشيجة الأخوة والمساواة أمام عبوديتهم لله ﷻ، بعد أن كانت تقوم بينهم مسابقات في ميدان تتصادم فيه القوى، وتتقارع فيه الأسنة، ويقع المستضعف فيه ضحية لنزوات القوي وسكرة جنوحه.. حينئذ تغدو نزعة التملك في الإنسان وسيلة طبيعية لإقامة حياة عادلة يقوم فيها العمران وتخضر في أنحائها الحدائق والجنان، وتتكاثر في جنباتها الخيرات، وتصبح نزعة العلم والإدراك نورًا وهاجًا ينكشف به المزيد من خفايا الكون لهذا الإنسان، وقبسًا هاديًا يؤكد للإنسان دائمًا حقيقة الذات الإلهية. ■

(*) كاتب وباحث سوري.

hiragate.com

د. أيمن عبد السميع حسين*

العلاج بالرسم والألوان

مُزج جسم الإنسان بعناصر وموجات كهربية، وإشعاعات تتجانس مع الأشعة الكونية، والموجات الكهرومغناطيسية والذبذبات اللونية، ولكل شخص إشعاعات خاصة تختلف في طول الموجة والتردد وعدد الذبذبات عن غيره، تمامًا كالبصمات. وكل إنسان، يرسل إلى حوله إشعاعات ويستقبل من الآخرين إشعاعات أخرى، فإذا كانت متقاربة نتج عن ذلك تفاهم ومحبة، وإذا كانت متنافرة نتج عنها العكس.

ونخلص من ذلك إلى أن الألوان عبارة عن طاقة مشعة لها طول موجي معين تقوم المستقبلات الضوئية في شبكية العين بترجمتها إلى ألوان، وتحوي الشبكية على ثلاثة ألوان، هي الأحمر والأخضر والأزرق، وبقية الألوان تتكون -فيما بعد- من مزج هذه الألوان الثلاثة. وعندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم، فإنها تنبه الغدة النخامية والجسم الصنوبري في الدماغ، مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من

العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكنا.

نبذة تاريخية

الثابت تاريخيًّا أنه لم يكن البحث في عالم الرسم -بصفة عامة- عملاً طارئًا أو مستجدًّا في الفضاء العربي، وإنما هو موضوع استأثر اهتمام ثلة من الباحثين الذين قاربوا الموضوع من زوايا نظر متعددة، بل متباينة تختلف في منطلقاتها وغاياتها، فاهتموا بجوانب مخصوصة دون أخرى، واكتفوا بمنظور قطاعي حجب جوانب وغلب أخرى فانطمست الظاهرة كليًّا. وعليه فإن هذا المبحث، يهتم بالرسم بوصفه ظاهرة علاجية منغرسة في ثقافات مجتمعات عديدة منذ بواكيرها الأولى إلى زمننا الراهن.

فالرسم علاج للإنسان منذ القدم، فقد كانت تنتاب الإنسان بعض المخاوف من الحيوانات فكان يرسمها على الجدران، ثم أصبح الرسم وسيلة من وسائل تخزين الثقافة والكتابة، وتدريجيًّا أصبح الرسم نوعًا من أنواع الإبداع والعلاج الحاضر. فكلما تخيَّل الإنسان شيئًا في المستقبل وقام برسمه، حاول بعد ذلك أن يحققه

العلاج النفسي بالرسم والألوان

الرسم ليس مجرد هواية، بل أسلوب للتعبير عن النفس والأفكار المتضاربة الداخلية، وإنه وسيلة مهمة للعلاج بالفن من خلال رسم ما يدور في خلدك على لوحة كبيرة، يشاركك في تلك اللوحة مجموعة من الأشخاص الآخرين الذين يخرجون ما بداخلهم بريشة الألوان التي تناسبهم. كما أن العلاج بالفن يندرج تحته الرسم والرقص والموسيقى، التي تكون جلساتها من خلال مدرِّب نفسي يدير "الجروب" العلاجي ويرشد الأشخاص الذين يشاركون، سواء كانوا أصحاء أو مرضى نفسيين، حول قواعد الجلسة، مؤكدًا أن وظيفتها تكون حول إخراج العالم الداخلي على الورق وتصويره من الخارج، حتى يكون هناك علاقة بالعقل مع الجسم والواقع، فيتسع إدراك الشخص بعالمه، ويكيف معها دخائله.

إن العلاج النفسي الجماعي مهم جدًّا للتعامل مع الذات وكذلك الارتباط الكامل مع الواقع،

كل إنسان، يرسل إلى حوله إشعاعات ويستقبل من الآخرين إشعاعات أخرى، فإذا كانت متقاربة نتج عن ذلك تفاهم ومحبة، وإذا كانت متنافرة نتج عنها العكس.

ولكل وسيلة طريقتها، سواء كانت الرسم بالتعبير عن ما بداخلك بالريشة والألوان، أو استخدام الموسيقى -حسب كل حالة- والإيقاع المناسب لها، وكذلك الرقص والحركات التي تقوي من رابطة الشخص بجسمه بدل التعامل معه على أنه بعيد عنه أو لا يشعر به.. كما لا يزال الفن يحوي في خزانته العديد من أسرار الحياة والكون، يكشفها الإنسان يومًا بعد يوم. ومن تلك الفنون رسمة "الماندالا".

نبذة تعريفية عن "الماندالا"

من منظوري الخاص وبعيدًا عن الاستطراد، فمن بين جملة الفنون التي يزخر بها عالمنا، ما يستوقفك فن استثنائي، يستأثر بجماح اهتمامك، ويُمطرك بصيب سحره، وصدقه ولوعته، وحميميته، ويهيمن على منابت حبك وإعجابك، وتصفق له مسابك طربك.. ذلك ما يحدث وأنت تطالع تلك الرسومات القيّمة التي عُرفت بـ"الماندالا" أو الدائرة. وهي تشكيل مرئي يمثل الكون غير المتناهي الأبعاد، وفي الوقت نفسه يصور أصغر الأشياء وأدقها.. هي نوع من أنواع الرسوم الزخرفية والرموز، أو الرسم على الأحجار.. أضف إلى ذلك، هو واحد من أكثر الفنون تفردًا وروعة، يعتمد على تصميم نمط ونقوش متوازنة بصريًّا تتكثف في المركز. ويعتمد هذا الفن على نوع من السيميترية العالية، نوع سلس ومستدير لتهدئة الروح وملء الفراغ والفقر الداخلي للإنسان.. والفن يعتمد على رسم دوائر بلا بداية ولا نهاية متداخلة، وهذا الفن يسمى اصطلاحًا بـ"فن البهجة"، كونه وسيلة للتخلص من التوتر العصبي والضغوط، وهو يساعد على التعبير عن المشاعر من خلال طريقة اختيار الألوان والأشكال، كونها طريقة

hiragate.com

سهلة ومسلية لرسم شيء جميل، وهي أيضًا نوع من التأمل الموجه الذي يحث على خلق السلام والاتزان في حياتك.

إن التركيز دائمًا على مركز الماندالا أثناء رسمها يوفر لك مرساةً تتكئ عليها، بينما يهيم عقلك. وكذلك يمكن أن تستغل رسمك للماندالا كنوع مميز من التدريب الروحي الذي يساعد على نموك الشخصي.. مايوز استُعملت من قِبَل الهندوسيين والبوذيين للتعبير عن صورة الكون الميتافيزيقي، والثابت تاريخيًّا أن أصولها تعود إلى الثقافة الهندية، حيث تشير الدائرة الأساسية فيه إلى مركز الكون، وتقوم على فكرة النقوش الدقيقة المتوازنة بنظام محدد. وقد انتقلت هذه الثقافة إلى شعوب هضبة التِبَتْ في القرن الحادي عشر، ثم انتشر بعد ذلك في الكثير من دول العالم ومنها مصر، حيث أدرك الكثيرون أهميته في صفاء الروح والذهن.

وكلمة "ماندالا" في اللغة "السنسكريتية" تعني الدائرة أو القرص. والشائع الآن أن "ماندالا" أصبحت مصطلحًا عامًّا لأي تخطيط جدولاً أو نمطًا هندسيًّا يقدم الكون عن طريق"الميتافيزيقيا " أو "الرموز". إن تلك الرسومات الزخرفية، تعتمد على رسم التفاصيل الدقيقة دون خطة مسبقة للشكل النهائي، أي إننا لا نرسم بهدف الوصول إلى شكل نهائي، إذ يمكن أن يمتد بك الرسم حتى لا تجد مكانًا في صفحتك، لكن هذا لا يعني بالطبع عدم التناسق والتناغم بين أجزاء الرسمة. وقد اشتهر هذا النوع من الفن في العالم، وأصبحت هناك العديد من كتب التلوين الجاهزة التي يمكن أن يقتنيها هواة هذا النوع من الفن، أو المهتمون بالتلوين بصفة عامة، لأن لها العديد من الفوائد

علاج مؤكد وشفاء سحري

يثير الفضول للتعرف على أسرار "الماندالا" أو ما يطلق عليه "فن البهجة"، لما يشاع عنه كوسيلة للتخلص من التوتر العصبي والضغوط، خاصة أنك تغرق في حالة من التأمل والهدوء النفسية وأنت ترسم هذه الأشكال المتناسقة، أو تقوم بتلوينها.. ولكن ما هي حكاية هذا الفن المثير؟

يقال في العديد من الدراسات، إن هناك فوائد "نفسية" لممارسة هذا النوع من الفن، منها أنها تساعد على تفريغ وإخراج الطاقة السلبية من الذهن، كما أنها تساعد على تقوية التركيز، حيث تعتمد على الدقة ورسم وتلوين مساحات صغيرة.. ليس هناك ضرورة لأن تنفذ الرسم بنفسك إن لم تكن تجيد هذا النوع من الرسم، لكن يمكنك الاستمتاع بممارسته من خلال تلوين الرسومات الجاهزة التي أصبحت متداولة في كتب تلوين متوافرة بالمكتبات، أو يمكنك أن تصنع كتابك الخاص بك من الرسومات المتوافرة على شبكة الإنترنت، ويمكن من خلال جمعها وطباعتها تكوين كتابك ثم ممارسة متعة التلوين.

تقول السيدة هنا كمال (وهي وأول من أدخلت هذا الفن إلى مصر): "تلوين الماندالا ينشط الفص الأيمن من المخ، مما يجهز الجسد للتخلص من زحام الحياة وتوتراتها، كما أنه يساعد على إخراج شحنات الغضب والطاقة السلبية والاكتئاب". ■

(*) مدير شؤون العاملين بالأمانة العامة للصحة النفسية بمستشفى الصحة النفسية بـ"سوهاج" / مصر.

صابر عبد الفتاح المشرفي*

ظاهرة الانحراف الفكري
وطرق علاجها

لقد كان للمصلحين دور هام في التصدي لظاهرة الانحراف الفكري غلوًّا وتفريطًا، والتعامل معها من خلال الاستهداء بالكتاب والسنة، وتتبع مبادئهما للقضاء على هذا الأمر في مهده.

ومن أبرز من تعاملوا مع هذه الظاهرة في وقتنا الحاضر، المجدد الداعية والمصلح التركي الأستاذ محمد فتح الله كولن، فقد وفقه الله مع مجموعة من رجال "الخدمة" الذين انطلقوا معه في سبعينيات القرن الماضي في إنجاز مشاريع وتأسيس مؤسسات في أكثر من مائة وستين دولة حول العالم، ما بين مدارس حديثة،

وآلافٍ من مراكز الدعم المدرسي والمراكز الشبابية، وعشرات الجامعات والمستشفيات والمنظمات الإغاثية.

وهذه المؤسسات والحلقات التطوعية التي تشكلت حولها، استفادت من الشباب الموهوبين، والشباب المتخصصين، معلمين ومرشدين، تربويين ومدربين ومساعدين.. فمكّنتهم من أن يحققوا لأنفسهم شخصيات سليمة متوازنة، وينمّوا لديهم شعورًا بالانتماء الإيجابي، ويعيشوا من أجل أهداف إنسانية نبيلة.

ومن أجل ذلك، لم تتمكن مجموعات التطرف من أن تؤثّر على هؤلاء الشباب الذين شاركوا في مشاريع "الخدمة"، ولم تستطع أن تورّطهم في أيّ عمل من أعمال العنف والإرهاب قط. فهذه المؤسسات استطاعت أن تعلّم شبابها عدة لغات أجنبية، ورتّبت لهم رحلات ثقافية إلى بلدان مختلفة، الأمر الذي نمّى عندهم قابلية معرفة العالم وفهم الآخرين والتفكير المرن والقراءة التحليلية النقدية. فتعزز لديهم نظام المناعة إزاء الأفكار المنحرفة التي يحاول المتطرفون غرسها في عقول الشباب والناشئة، واطلعوا -عبر برامج تربوية من جهة ومشاريع عملية من جهة أخرى- على طريق إيجابي بديل للسير فيه.

ذلك هو الجانب الذي مارسه الأستاذ كولن هو ورفاقه تطبيقيًّا منذ حقبة السبيعينات، وسوف نستعرض الآن بعضًا من المقترحات التي قدمها في مقال له بعنوان: "لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية"[1] نُشر في مجلة بوليتيكو الأمريكية بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٧ بمناسبة الهجمات الإرهابية الدامية التي استهدفت مدينتي لندن ومانشستر، وتبناها تنظيم داعش الذي يطلق على نفسه "الدولة الإسلامية". فمن تلك المقترحات ما يلي:

١- التوصيف الدقيق لهذه التنظيمات إعلاميًّا

فهذه التنظيمات تطلق على نفسها أسماء براقة وتستخدم شعارات لافتة، وتتمسح باسم الإسلام والإسلام منها براء، ومع ذلك يجاريها الإعلام ويستخدم نفس المسميات الإسلامية التي تطلقها على نفسها، لذلك يرى الأستاذ كولن، وجوب تسميتها التسمية اللائقة بها حتى تتضح حقيقتها للعيان، واقترح لذلك أن يطلق عليها: "شبكات الإجرام التي تجاوزت حدود الإنسانية"، خاصة مع قيامها بعديد من عمليات إرهابية سابقة راح ضحيتها مدنيون أبرياء في مناطق مختلفة من العالم، ومن ثم ينبغي ألاّ ترتبط هذه التنظيمات بأي دين أو قومية أو طائفة، بل ينبغي أن توصف بأنها خارج نطاق الإنسانية.

٢- وقفة مسلمي العالم وقفة جادة

نصح الأستاذ كولن في هذا المقال مسلمي العالم، بضرورة أن يقفوا وقفة جادة إن أرادوا قطع شرايين الحياة لهذه التنظيمات الإرهابية، إلى جانب التدابير الأمنية والاستخباراتية. فهذه التنظيمات تشوه وجه الإسلام الناصع المشرق بالتمسّح في اسمه، وتستخدم الدين أداة لتحقيق أغراضها السياسية، زاعمة أنها ترفع من قدره، ومن ثم كان لزامًا على المسلمين أن ينفروا كافة للحيلولة دون نشر ضلالاتهم، وترويج ادعاءاتهم، والتغرير بناشئة الأمة.

٣- القضاء على أشكال التمييز والتهميش والإقصاء الاجتماعي على مستوى الدول والمجتمعات

لقد نبه الأستاذ كولن على أن أهم عامل تستخدمه هذه التنظيمات في الترويج لأفكارها، هو خداع عقول الشباب وجرّهم إلى شباكها من خلال شعارات إسلامية براقة، ومن ثم يجب حرمانها من هذه الأرضية، ليس بالاعتماد على الحلول الأمنية فحسب، بل يجب أن تتضمن الحلول التي تتصدى لهذه الظاهرة أوجهًا متعددة. وأهم تلك الأوجه:

القضاء على أشكال التمييز والتهميش والإقصاء الاجتماعي على مستوى الدول والمجتمعات، فداعش وأمثالها من التنظيمات الإرهابية، يلعبون على عواطف الشباب الذين يشعرون بالتهميش والإقصاء في مجتمعاتهم، ويضعون أمامهم غايات ذات مظهر نبيل، ويشعرونهم بالانتماء فيحوّلونهم إلى انتحاريين لأيديولوجية شمولية سلطوية. وأوصى في هذا الصدد أن يتم ذلك من خلال تفعيل دور المنظمات الدولية ضد الأنظمة التي تمارس انتهاكات وترتكب مظالم في حق شعوبها كما هو الحاصل في سوريا اليوم، وغيرها من المناطق.

كما شدد على ضرورة أن تنتهج الأنظمة الغربية في سياستها الخارجية نهجًا أكثر أخلاقية ومصداقية وتماسكًا، وأن يقوم المسلمون بمسؤولياتهم في الجهود

hiragate.com

التي تبذل على نطاق واسع لتحقيق ذلك.

٤- التصدي لهذه التنظيمات في ساحة الفكر

إن هزيمة المتطرفين -الذين يرون العنف مشروعًا- في ساحة الفكر، من أهم الخطوات التي أكد الأستاذ كولن على ضرورة القيام بها للقضاء على هذه الظاهرة.

وقد أشار في مقاله إلى بعض الأخطاء التي يمارسها هؤلاء في فهم الدين وتطبيقه ومنها:

• اجتزاء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من سياقها، وتأويلها بما يخدم أغراضهم الدموية التي حددوها مسبقًا.

• محاولة النقل الحرفي للأحكام الدينية التي تم تطبيقها في القرون الوسطى -حيث كان الاختلاف الديني يُستخدم أداة للصراعات السياسية- إلى القرن الواحد والعشرين. بينما الفرصة اليوم متاحة للمسلمين لكي يمارسوا أنشطتهم الدينية في البلدان الديمقراطية بكل حرية.

وأوصى في هذا الصدد، بضرورة العمل على وضع منهاج تربوي متكامل يراعى فيه ما يلي:

أ- تدريب الأجيال على قراءة التراث الديني بنظرة كلية شاملة.

ب- تعليمهم كيف يفهمون الروايات والنصوص الدينية وفق سياقها.

جـ- تدريبهم على استيعاب روح القرآن الكريم وفلسفة السيرة النبوية، حتى يتمكنوا من مجابهة تأويلات المتطرفين المضلِّلة الخادعة.

د- ضرورة أن يتضمن هذا المنهج الإعلاء من قيمة الإنسان، على أساس أنه آية من آيات الله تعالى.

هـ- ضرورة إسهام الدول الغربية -التي يعيش فيها مسلمون- في حل هذا الإشكال من خلال توسيع الحريات الدينية وضمانها.

٥- استيعاب طاقات الشباب في فضاءات إيجابية

إن الشباب طاقة وقوة هادرة، وإذا لم تستوعب هذه الطاقات في مسارات إيجابية وفضاءات إنسانية مشتركة، فسوف يفرغونها في انحراف فكري أو سلوكي، غلوًّا وتعصبًا أو تفريطًا وانحلالاً وتهاونًا، ومن ثم أوصى

إن الشباب طاقة وقوة هادرة، وإذا لم تستوعب هذه الطاقات في مسارات إيجابية وفضاءات إنسانية مشتركة، فسوف يفرغونها في انحراف فكري أو سلوكي، غلوًّا وتعصبًا أو تفريطًا وانحلالاً وتهاونًا.

الأستاذ كولن بأن نلبي احتياجات شبابنا الاجتماعية من خلال حلول إيجابية، نوفر لهم فيها فضاءات مناسبة تستوعب طاقاتهم بصورة إيجابية بناءة.

ولخبرته هو وجماعته في هذا الميدان، اقترح أشكالاً لهذه الفضاءات منها:

تحفيز الشباب في التطوع على شكل مجموعات، والمشاركة في مشاريع إنسانية هامة يساعدون فيها ضحايا الحروب والكوارث الإنسانية والطبيعية المختلفة.

وأوضح أن هذه المشاريع الإنسانية، ستساعد على تخفيف آلام المتضررين من ناحية، وتشعر المتطوعين الشباب بالأهمية والسعادة من ناحية أخرى، لأنهم أصبحوا جزءًا من مشروع إنساني حيوي.

كما سيعزز العمل المشترك في مشاريع إنسانية كهذه -مع أفراد ينتمون إلى أديان أخرى- فرص الحوار المشترك، ويبعث في القلوب مشاعر الاحترام المتبادل. وبفضل هذا النوع من التواصل والعمل المشترك، سيتمكن شبابنا من استيعاب حقيقة أنهم جزء من الأسرة الإنسانية الكبرى كذلك، وليسوا أعضاء في الفئة العقدية التي ينتمون إليها فحسب. وهكذا، فإن جميع الفعاليات الإيجابية التي تقوم بها مجموعات مشتركة على هذا النحو، سوف تساعد الشباب على أن يؤسسوا لأنفسهم شخصيات سليمة وانتماءات إيجابية. ■

(*) كاتب باحث مصري.

الهامش

(١) مواقف في زمن المحنة حوارات إعلامية مع فتح الله كولن، إعداد: صابر المشرفي، نوزاد صواش، دار النيل للطباعة والنشر، ص:٢٩١، ط١، القاهرة ٢٠١٧م.

hiragate.com

د. علي عفيفي علي غازي*

أصالة الخط العربي

لم يتطور الخط العربي دفعة واحدة، ولم نعرف له عند مجيء الإسلام أكثر من نوعين؛ البسط وهو خط يميل إلى القساوة وتَغلب عليه التزوية، والتقوير وهو أكثر ليونة واستدارة. ثم دخل الخط العربي مرحلة تطور في اتجاهين؛ استكمال مقوماته الوظيفية الكتابية من جهة، وتجويده والنهوض به ليقوم بدور فني جمالي من جهة ثانية. وقد بدأت النهضة الفنية للخط العربي مع بناء الكوفة.

الخط الكوفي

اعتمد تطور الخط العربي في بداياته الكوفية، على خط البسط بشكل أساسي، وهذه التسمية سادت وأصبحت تُطلق على كل الخطوط التي تميل إلى التربيع والهندسة أينما كتبت وأيًّا كانت درجة تطورها أو اختلافها عن الخطوط الكوفية الأولى، غير أن الكوفة عرفت نوعين آخرين إلى جانب الخط القاسي؛ نوع مخفف لين هو خط التحرير، ونوع يمكن اعتباره جمعًا بين النوعين السابقين هو خط المصاحف الذي

اهتمت المصادر التاريخية بتناوله، وكان معتمدًا في كتابة المصاحف الكبرى التي تُوقف للمساجد. وكان من أبرز كُتّابه الأوائل مالك بن دينار الوراق، وخشنام البصري. أما أقدم فنان متميز في الخطوط الكوفية التي تذكره المصادر، فهو خالد بن أبي الهياج الذي كتب عددًا من المصاحف وكُتُبِ الأخبار والأشعار، وكان أول من خطَّ كتابة تزيينية على المساجد؛ حيث خطّ على جدار القبلة في المسجد النبوي الشريف أربعًا وعشرين سورة من القرآن الكريم.

واستمر الخط الكوفي في التطور وتصاعد الاهتمام بالخطوط الليّنة، مما وضع الخطوط الكوفية في الظل لمئات من السنين.

الخط الموزون

تعود أصول الخطوط الموزونة إلى خط التقوير الذي كانت بداية ارتقائه الفني في الشام، بعد تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، واختراع نوع من الورق عرف بالقرطاس الشامي. وتُنسب النقلة الأولى في هذا الارتقاء إلى قطبة المحرِّر، وهو أول من أطلق عليه لقب محرِّر. ابتدع قطبة قلم الطومار، واشتق منه ثلاثة أقلام أصغر ليكتب بها على قطوعٍ مختلفة من القرطاس تتفق مع أهميتها الإدارية.

وفي أوائل العصر العباسي طوّر كل من الضحاك بن عجلان الشامي ثم إسحق بن حماد ما بدأه قطبة، فبلغ عدد الأقلام اثني عشر قلمًا، وأصبحت هناك مدرسة للإبداع الخطي انتهت إلى إبراهيم السجزي (أو الشجري)، الذي استحدث قلمين أصغر من الطومار أطلق عليهما الثلثين والثلث (بالنسبة إلى الطومار).

أما النقلة الأهم فقد تمَّت على يد الأحْول المحرر، وكان تلميذًا مبدعًا لإبراهيم السجزي، قام بترتيب الأقلام الثقال بدءًا من الطومار، ثم الثلثين والسجلات فالعهود والمؤامرات ثم الأمانات والديباج فالمدمج والمرصّع ثم قلم النسّاخ. وينسب إليه اختراع خفيف النصف وخفيف الثلث، والمسلسل، وغبار الحلية، وخط المؤامرات، وخط القصص والحوائجي.

الخط المنسوب

كانت الخطوط الموزونة قد وصلت إلى درجة من التطور، فأصبح لها نسب قياسية خاصة، وبلغ عدد أقلامها أربعة وعشرين قلمًا عندما ظهر الخطاطان العبقريان الوزير أبو علي محمد بن مُقْلة ثم أخوه أبو عبد الله الحسن بن مقلة، اللذان نقلا الخط العربي نقلة فنية نوعية، فتوصل أحدهما -أو كلاهما- في بدايات القرن الرابع الهجري، إلى تأليف ستة أنواع من الخطوط هي: الثلث، والريحان، والتوقيع، والمحقَّق، والبديع، والرقاع. وهندس أحدهما مقاييسها وأبعادها، ووضع معايير لضبطها والوصول بها إلى صيغ جمالية محكمة، معتمدًا في ذلك على العلاقة بين النقطة والدائرة والخط. فجعل حرف الألف الذي حدد طوله بعدد من النقاط، قطرًا لدائرة ونسب إليه الحروف جميعًا، فكانت هذه انطلاقة الخط المنسوب الذي أبدع فيه عدد من الخطاطين طوال قرن من الزمن ليصل إلى محمد بن

الخط الكوفي

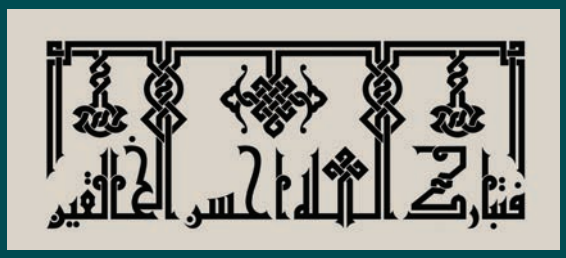

السمسماني ومحمد بن أسد الكاتب البزاز البغدادي الذي نقل كتابًا عن ابن مقلة، وكان هذان أستاذين تتلمذ عليهما الخطاط البغدادي المبدع أبو الحسن علي بن هلال الذي أشتهر بابن البواب.

درس ابن البواب خطوط ابن مقلة دراسةً معمقة مدققة استطاع بعدها أن يطور أسلوبه والقواعد التي وضعها للخط المنسوب، ولقد دقق ياقوت المستعصمي خطوط ابن مقلة، وخطوط ابن البواب بشكل خاص، وتوصل إلى اختراع طريقة غير مسبوقة في بري القلم؛ مما شكل نقلة جمالية كبرى في تجويد الأقلام الستة المنسوبة جميعًا.

ونافست مصر العراق فطورت أنواعًا جديدة من الكوفي، وتطور تدريسه فيها حتى أصبح له معلمون متخصصون متفرغون لتعليمه، يعملون بناء على أسس محددة، وقد أدى هذا إلى تطور كبير في خطي الثلث والثلثين. وفي الوقت نفسه، ظهر وتطور في فارس خط التعليق، وقد اكتسب خصائصه المعروفة في القرن السابع الهجري، ليقوم خطاط مبدع في القرن التاسع الهجري هو مير علي التبريزي بابتداع وتجويد خط متطور عنه سمي نسخ التعليق أو نستعليق، يمتاز بالرقة

خط الثلث

والرشاقة والتناغم الجميل بين الرقة والغلظ في كتابة حروفه ومدّاته، ووضع له نسبًا خاصة، وقد اشتهر باسم الخط الفارسي.

المدرسة العثمانية

يمكن القول إن تطور خط النسخ في الشام، والثلث والثلثين في مصر، شكّلا منهلاً نهل منه الخطاطون الأتراك، وأساسًا اعتمدوا عليه ليحدثوا نقلة مهمة في تجويد بعض أنواع الخط المنسوب. وقد برز في أواخر القرن التاسع خطاطان اتبعا طريقة عبد الله الصيرفي البغدادي كان لهما دور كبير في تطور تجويد الخط العربي. أولهما الشيخ حمد الله الأماسي الذي جمع خطوط ياقوت، المحفوظة في الخزانة العثمانية، فدرسها وانتقى من حروفها أجمل الأشكال والأساليب، لتكون هاديًا ودليلاً له في تطويره للأداء الجمالي للخطوط المنسوبة، وثانيهما الخطاط أحمد القره حصاري الذي برع في التراكيب والتشكيلات الخطية. وقد أدى التنافس بينهما إلى توسيع دائرة المجودين لتنتهي في أواخر القرن الحادي عشر الهجري إلى الحافظ عثمان بن علي الخطاط المجود الشهير، صاحب المصاحف الذي استقرت الأقلام الستة بطريقته.

ثم أتى الخطاط المبدع مصطفى راقم في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ليضع اللمسات الأخيرة على طريقة تجويد جليّ الثلث التي لا تزال متبعة حتى الآن. وقام الخطاط سامي أفندي بتطوير الأرقام وعلامات التشكيل وإشارات الحروف المهملة، حتى بلغت شكلها المعروف اليوم.

وقد تسابق الخطاطون في تراكيب خط الثلث وجليّه، مما أدى إلى تطور جمالي كبير فيها كان من نتيجته إجراء بعض التعديلات في مقاييس بعض الحروف بما يخدم التشكيل الخطي، وإحداث علاقات من التناغم بين غلظ القلم ورقة التشكيل وإشارات الحروف المهملة. وانتهى تجويد الثلث والنسخ والرقاع إلى فرعين على درجة عالية من الجمال، يقف على رأس أولهما الخطاط

قاضي العسكر مصطفى عزت، ويقف على رأس الثاني الخطاط محمد شوقي.

المدارس العربية الحديثة

استمر الخط العربي في العراق لينتقل نقلة نوعية تتميز بالقوة والجمال، على يد الخطاط الكبير هاشم محمد البغدادي الذي جود جميع أنواع الخط العربي بخصوصية كانت أساسًا لمدرسة العراق الحديثة تجمع ميزات المدرسة العراقية والمدرسة المصرية والمدرسة التركية.

وفي الشام، انتهى الأمر إلى الخطاط مصطفى السباعي الذي كان هو والخطاط التركي يوسف رسا وتلميذه ممدوح الشريف، أساتذة للخطاط بدوي الديراني الذي جود جميع الخطوط بأسلوب متميز جميل، وطبع خط التعليق بطابعه الخاص، كما طور طريقة جميلة من الخط الديواني بالإضافة إلى إجادته للخط الكوفي، مما جعله رأسًا للنهضة الخطية في الشام.

أما في مصر، فقد استمر الخط العربي عبر عدد كبير من الخطاطين، فبرز الخطاط محمد مؤنس الذي أخذ الخط عن والده وبرع فيه، وكان صاحب النهضة الخطية الحديثة في مصر، ودرّس عددًا كبيرًا من الخطاطين، ووضع كتاب "الميزان المألوف في وضع الكلمات والحروف".

وعدد كبير من الأساتذة الذين درّسوا في مدرسة تحسين الخطوط الملكية، وكان من أبرزهم الخطاط التركي عبد العزيز الرفاعي، والخطاط مصطفى غزلان، والأستاذ يوسف أحمد، والخطاط محمد حسني الدمشقي الذي برع كثيرًا في التراكيب الخطية التي ابتدع فيها أسلوبًا خاصًا اتبع من بعده.. ويضاف إلى هؤلاء عدد كبير من الخطاطين الأعلام، أمثال محمد إبراهيم الذي افتتح في الإسكندرية مدرسة خاصة لتعليم الخط، والأستاذ سيد إبراهيم والأستاذ محمد عبد القادر كبير مفتشي مدارس تحسين الخطوط المنتشرة اليوم في أنحاء مصر.

وفي المغرب العربي، حافظ الخط العربي على

الخط الديواني

بعض سمات الخطوط الأولى، وظهرت أولى أساليبه في القيروان، كاشتقاق يحمل سمات جمالية خاصة عالية من خط المصاحف الكوفي عُرف بالخط القيرواني، ثم تطور عنه خط نُسب إلى المهديّة. وتطور في الأندلس نوعان أساسيان، أحدهما تكثر فيه الزوايا سُميّ بالكوفي الأندلسي، والآخر تكثر فيه الانحناءات والاستدارات سُمي بالقرطبي أو الأندلسي، حيث استخدم في نسخ المصاحف والكتب، وكان لتعليمه تقاليد خاصة في الأندلس والمغرب. وقد ساد هذا النوع في المغرب العربي كله حتى أواخر حكم الموحدين. ثم ظهر الخط الفاسي، ثم السوداني أو التمبكتي (نسبة إلى تمبكتو في مالي) ويمتاز بكبره وغلظه، والتونسي الذي يعد أكثر الخطوط المغربية مرونة، والجزائري وهو حاد الزوايا.

ويستخدم الخطاطون في المغرب العربي أقلامًا تختلف عن أقلام المشارقة من حيث بريها وقطتها التي تميل إلى الاستدارة. وفي العقود الأخيرة، شاع استخدام الخطوط العربية المشرقية للاستخدامات الفنية بشكل كبير، وأقبل الخطاطون المغاربة على تعلمها وتجويدها.

وقد ظهرت في البلدان العربية تصاميم فنية لخطوط جديدة، وتم إحياء وتطوير بعض أنواعها الجميلة المهملة، وانتشرت اللوحات الخطية ومعارضها، إلا أن الخط العربي لم يعد يلقى العناية والتشجيع اللازمين بما يكفي من الجهات الرسمية، وأصبح يعتمد في بقائه ونموه على الجهود الفردية لفنانيه وعشاقه ومحبيه، وبعض المدارس والمراكز التعليمية الفقيرة. ■

(*) كاتب باحث مصري.

إن سعادة إنساننا لن تتحقق إلا إذا سلّم نفسه إلى رؤى مشرقة وأفكار نيّرة انبثقت من "قلوب متصدّعة" نضجت بنار الفكر ومكابداته.

الموازين

العائد إلى الله

لمحته من بعيد يمضي بخطوات مُتثاقلة سارحًا في عالم غير الذي نحياه.. كان شابًّا تجاوز العشرين من العمر، وتربطها به علاقة عائلية. لا زالت ماضية في طريقها وهو أمامها بنفس خطواته المتعبة الثقيلة.. نادتْه:

- أمجد!

التفت إليها.. كانت نظراته تَروي أشياء كثيرة، وتقاسيم وجهه تنطق بألم شديد.. ابتسم لها.

- كيف حالك يا أمجد؟

نادتْه غير أنها لمحت محياه يزداد ألمًا وهو يجيبها:

- لقد توحد الألم بأجمعه ليغمر قلبي.

قالت بقلق:

- رباه! ما هذا الكلام؟ أخبرني ما بك؟

- قبل قليل كنت في المستشفى، أخبروني أن لي قلبًا مريضًا ضعيفًا، ثم تركوني أتجرع مرارة الواقع.

- يا إلهي! أحقًّا ما تقول؟!

- أجل، إنها الحقيقة التي مهما حاولت إخفاءها كسرتْ الحواجز لترتسم شامخة أمامي. لماذا أسقط ضحية مرض يهدد حياتي وأنا في سن أحوج إلى هذه الحياة!؟ أريد أن أمرح.. أن أغني.. أن أفرح.. لا أريد أن أموت.

- لا تقل هذا يا أمجد، لعل الله يجعل لك من همك مخرجًا.

- طالما دعوته، الأحرى بي أن أترجى الأطباء، إنهم وحدهم قادرون على علاجي.

- ألا تؤمن أن الله قادر على شفائك؟

- بلى، لكنه مرض في القلب، إنه أخطر مما نتصور.

- لم أكن أعلم أن إيمانك ضعيف لهذه الدرجة، اهدأ قليلاً والجأ إلى الله، أولم تذكر أنه يقول: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب".

- أريد شيئًا ينسيني ألمي، مرارتي، لا يزيدني ألمًا على ألم.

قالت بحيرة:

- ومتى كان ذكر الله ألمًا، هداك الله!؟

كان قد وصل إلى بيته.. ودَّعتْه ومضت وحدها. كانت تتألم لأجله بشدة.. لأنه تغير كثيرًا ولم يعد كما كان في الماضي.. كان مليئًا بالحيوية والنشاط والضحك.. تذكرت أيام طفولتهما؛ كانا يلعبان معًا.. وإذا ما سافرت إلى مكان ما، كان لا يرضى أن يلعب مع أحد، بل كان ينتظرها حتى تعود.. كانت أيام الطفولة رائعة بالنسبة لها.. لم تكن تجد راحتها إلا مع أمجد.. ثم كبرتْ وكبرت الأحلام معها.

كان أملها أن تدرس بكلية الطب، وكان أمله أن يصبح مهندسًا. وشاء الله تعالى أن رحلتْ إلى مدينة مجاورة لتكمل دراستها ولا تعود إلا في أيام العطل. لم تعد هي وأمجد كما كانا في الماضي، لم تعد تلتقي كل يوم به.. رغم ذلك ما زالت تفضله على كل أبناء العائلة.

دخلتْ غرفتها وما زالت تتألم عليه؛ هذا الورم الخبيث يهدد حياته ويدمر أحلامه.. قالت في نفسها: "ليتني أقدر على فعل شيء يعيد هذا الشاب إلى حيويته التي كان عليها ويعيش حياة هنيئة بلا تألم". سمعت دقات خفيفة على الباب، إنه شقيقها. قال بلطف:

- هل تسمحين لي بالدخول؟

- طبعًا تفضل.

جلس على كرسي مكتبها واستطرد قائلاً:

- زرتُ أمجد.. منذ ثلاثة أيام لم أره. أخبرني عن مرضه، حزنتُ عليه كثيرًا. وجدتُه يتجرع زجاجة من الخمر.. كان يبكي بسبب ما يعانيه من ألم.

تنهدت من أعماق صدرها وقالت بأسى:

- أنا أيضًا أتألم عليه كثيرًا، ولكن ما يزيد ألمي أن الشيطان مسيطر على عقله وقلبه. ليته يدرك أن الحياة ليست مجرد لهو ومتعة.. أسأل الله أن يهدي قلبه للنور ويشفيه مما هو فيه.

- لا تتعبي نفسك.. طالما حاولت إبعاده عن طريق الملاهي واتباع هوى نفسه، ولم تحصلي على أيّة نتيجة، فذلك يعني أن ليس له نصيب من الإيمان والهداية.

- لا تقل هذا يا أخي، سيعود أمجد أفضل وأتقى، سأنصحه دائمًا، سأتحدث له عن النور الذي دخل قلبي وأذاقني حلاوة الإيمان.. سأحدثه بلا كلل ولا ملل عن هذا النور.

قام شقيقها وتوجَّه صوب الباب وهو يقول:

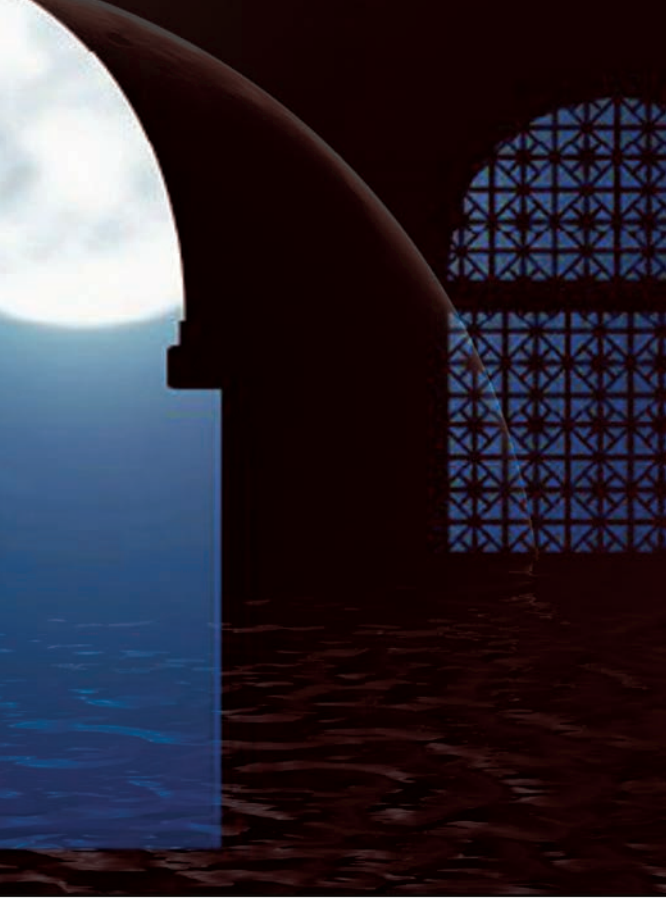

- ليته يصغي إليك.

...

في اليوم التالي قام أمجد بزيارتها، كانت نبرات الحزن مختلطة بكلماته.. قالت بشفقة ولين:

- لا تيأس يا أمجد، ستشفى بإذن الله، وحينها ستدرك أنك كنت مخطئًا عندما عشت هذه الأيام في يأس وألم.

أجابها وهو يبتسم:

- كلماتك تريحني.. وعندما أركن إلى نفسي لا أرى إلا أنني سأحرم من هذه الحياة.. وعندما أسمع إليك تتولد الآمال غزيرة في قلبي.. حقًّا لقد عشت حياة ملؤها المعصية.. أعدك إن شفاني الله، سأتوب عن كل ما اقترفته من سوء، أملي الوحيد أن تنجح عملية القلب الجراحية.

قالت بحزن:

- وهل الله فقير إلى توبتك؟! تضع شروطًا مقابل أن تتوب؟!

أطرق رأسه.. احتارت الكلمات بين شفتيه.. أخيرًا همس:

- لكني مؤمن.

بادرته بالكلام:

- "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين".

أثرت فيه الكلمات الربانية، ولكنه غيَّر الموضوع مباشرة.. قال بتلعثم:

- أخبروني أن العملية الجراحية سيجرونها هذا الأسبوع.

التفتتْ إليه، وقالت من القلب:

- شفاك الله يا أمجد.

عاد للموضوع ليقول:

- كلماتك صواب ولا أقدر على رفضها، لكن هنا شيء في صدري لا أستطيع التغلُّب عليه يجعلني أبعد عن تلك الحياة.

- تقول إن كلماتي حقيقة ثم تبتعد عنها! لم أعد أفهمك يا أمجد.

- كل ما أستطيع قوله لك، أنه إذا كُتبتْ لي الحياة، سألتزم طريق الله ولن أتخلى عنه أبدًا.

...

مرت الأيام بسرعة، وحان موعد العملية الجراحية.. ذهبوا جميعًا برفقته إلى المستشفى.. وقبل دخوله همس بصوت أقرب للرجاء:

- ادعِ الله لي.

قالت وقد اغرورقت عيناها بالدموع:

- دعوت لك دائمًا، ستعيش من أجلنا يا أمجد.

ودخل إلى غرفة العمليات.. مرت ساعات وهي تذرع المكان ذهابًا وإيابًا، ولسانها مع قلبها لا يكفان عن الدعاء.. وإذا بالطبيب يخرج ويلقي البشرى:

- الحمد لله، لقد نجحت العملية.

...

خرج أمجد من المستشفى.. ومن فرط سعادته دعا الجميع لحضور حفل شفائه في مطعم فاخر. ذهبتْ الحفل مع عائلتها.. وجدتْه مع ثلة من أصحابه.. أمعنت النظر فيهم ثم همست في حيرة:

- رباه! إنهم أصدقاؤه في الملهى وأصحابه في ليالي الخمر والمجون!

ازدادت حيرة عندما اقترب منها ورائحة الخمر الكريهة تفوح من فيه! وعندما ارتفع صوت الموسيقى الصاخبة طلب منها أن ترقص معه. تمالكت أعصابها بصعوبة ثم قالت بحدَّة:

- أنت تعلم أني لا أحب الرقص!

- حسنًا.

قالها بهدوء ثم ذهب وراح يرقص مع أخرى.. انتابها شعور غريب تلك اللحظة.. راحت تنظر إليه في دهشة وتقول في نفسها: "رباه! أهذا ما وعدني به؟!"

قامت وغادرت الحفل بعد أن اعتذرت لعائلتها.. كانت تعاني من خيبة أمل شديدة.. لحق بها ثم قال:

- ما الأمر؟ لِمَ تغادرين الحفل؟

- إنني أبحث عن شيء.

- عن شيء؟ وما هو؟

- عن تحقيق وعدك، أم تراك نسيته؟

ثم أردفت بمرارة:

- لماذا يا أمجد؟ لماذا لم توفِ بوعدك الذي وعدته قبل العملية؟

أجابها:

- إنها ليلة واحدة فقط، شعرت فيها بالحنين إلى حياتي السابقة.

لم تتمالك نفسها وصرخت في وجهه:

- كانت أهواؤك أقوى من أن تقاوم فاستسلمت لها، نسيت وعدك وقسمك وفقدت صوابك أمام الإغراءات.. الآن أدركت أنك أسير نفسك وأهوائك.

ساد الصمت لحظات، ثم صرخت بقوة:

- وأنا لا أريد مصاحبة رجل أسرتْه نفسه وأهواؤه.

ثم ذهبت وتركته وحيدًا.. جاءه أحد أصحابه يطلب منه العودة للحفل، لكنه رفض ومضى بعيدًا عن المكان وكأنه يعاني تأنيبًا شديدًا في ضميره.. أحس بندمه على ما فعل.. إنه لم يوف بوعده لله.. عاد إلى بيته وقضى الليل كله في أرق وتأمل وتفكير.. وفجأة تسلل إلى سمعه صوت المؤذن يجلجل في الأفق مناديًا للصلاة.. شعر أن شعورًا غريبًا قد انتابه.. نسي كل آلامه وأخذ يستمع إلى النداء.

كأنه نداء يسمعه لأول مرة رغم صداه الذي كان يتردد كل يوم منذ أعوام.. شعر بدقات قلبه تزلزل كيانه.. هرع ليتوضأ.. بعد ذلك أخذ يسير إلى المسجد بلهفة.

...

كانت سعادتها كبيرة عندما أخبروها عن توبته.. وعندما التقتْ به قالت وعيونها تلمع من الفرح:

- هنيئًا لك يا أمجد، هنيئًا لك بتوبتك وعودتك إلى ربك.

ردّ والدموع تنساب من عينيه:

- أنا مدين لك.. لا أعرف ماذا أقول.. أنت سببي في هدايتي ووصولي إلى الحق والحقيقة.. شكرًا جزيلاً لك.

قالت وكلّها سعادة:

- الشكر لله يا أمجد.. إنه يهدي مَن أحب من عباده. ■

(*) كاتبة وأديبة مغربية.

فتح الله كولن

مقعد في كل قلب

إذا ولج الناسُ منازلَ قلوبكم، ينبغي ألاّ يقلقوا من البقاء واقفين، خصِّصوا مقاعد في قلوبكم للجميع مهما اختلفوا عنكم. قولوا لهم بثقة: "مقعدكم محجوز في قلوبنا". إن تنمية هذه الروح يحتاج إلى تربية.. يحتاج إلى تربية في الأسرة، كما يقتضي ألا يفسد الشارعُ تلك التربية، ويحتاج إلى أن تحوّل المدرسة تلك التربية إلى علم، يحتاج إلى أن يرقى المسجد بتلك التربية إلى آفاق الروح. أمّا إذا كانت الأسرة محرومة من هذه الرؤية، وإذا كانت الشوارع مشوهة، والمسجد أسير النمطيات والشكليات، والمدرسة خالية من الحياة القلبية، إذا كان كل شيء يدور حول الذات والمادة والجسد والغريزة، عندئذ يتعذر نموّ هذه الروح. أمّا إذا نمت بصورة تكاملية فإن هذه الفضاءات ستدعم بعضها بعضًا، ولن يهدم فضاء ما بناه الآخر، لن تضيع المعاني التي تشرّبها المرء في بيئته الأسرية وسط الشوارع هدرًا، بل سيأتي المسجد ليعمّق تلك المعاني في روحه، وتأتي المدرسة تغذي عقله وتعلمه كيف يقرأ السنن الكونية والأشياء والحوادث، وتحوّله إلى إنسان يجيد قراءة الكون بعمق. عندها سيأتي التعمق الحقيقي، ولن يُهدَم ما تم بناؤه، لن يُفسِد الشارعُ ما غرسته الأسرة، ولن يتناقض المسجد مع المنزل، ولن تتناقض المدرسة مع المسجد. إذا سارت هذه المحاضن وأمثالها من المحاضن والفضاءات الأخرى في اتجاه واحد، فسوف يتحرر الإنسان من جسمانيته وطينيته -إلى حد ما- ويرتقي إلى حياة القلب والروح. عندئذ سيشعر برحابة في قلبه، فيفتح صدره للجميع، ويسعى إلى إقامة جسور بينه وبين الناس أجمعين.

حين يكون الحق ضحية الأسلوب

لقد أثنى القرآن على هذه الأمة المباركة قائلاً: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾(آل عمران:١١٠). يا أمة محمد! أنتم خير أمة أخرجت لحمل الناس إلى الخير، تحثّون على الصدق والجمال وفق "الأصول الصحيحة" وتنشرونها، تسعون إلى منع الشر والانحراف والسيئات، تفعلون ذلك بدافع إيمانكم. أجل، ستقومون بهذه الوظيفة، فهي من الأصول الأساسية التي لا يمكنكم التخلي عنها. أما "الأسلوب"، فعليكم أن تضبطوه وفق "المبادئ والكليات" التي أرساها المجتهدون والمجددون. فلا تدمروا الأصول الصحيحة بسوء أسلوبكم. حذار أن تخرقوا الأصول بأخطاء أسلوبية. احرصوا على أن تحتكموا إلى "العقل المشترك". تشاوروا فيما بينكم، قولوا: "هناك مسألة قد تثير ردة فعل الناس إذا تم تقديمها بالطريقة الفلانية، فكيف نعبر عنها يا ترى؟"، حتى تصلوا إلى الرأي السديد في ضبط الأسلوب.

المسلم ليس إرهابيًّا

ينبغي أن نبيّن للعالم أن الإسلام ليس دين عنف. حتى الحروب التي خاضها الحبيب المصطفى ﷺ إنما كانت حروبًا دفاعية. إننا ضد العنف، وضد الصدام، وضد الفوضى، وضد كل التنظيمات الإرهابية.. التأكيد على هذه المعاني بالغ الأهمية للكشف عن الوجه المشرق للإسلام. ما أكثر الإرهابيين في هذه الأيام! لا علاقة بين الإسلام والإرهاب قطعًا. لقد قال القطمير (يعني المؤلف نفسه) قبل عشرين سنة: "لا يمكن للمسلم الحقيقي أن يكون إرهابيًّا، ولا يمكن للإرهابي أن يكون مسلمًا". أعلنتُ عن ذلك هنا (أمريكا)، عندما ضرب برجا التجارة (في نيويورك) قبل أكثر من ١٥ عامًا. وقد صرحت بالمعنى نفسه في أوقات عديدة وبأساليب شتى. ينبغي ألا يشوّه اسم الإسلام الطاهر وديعة رسول الله ورسالة رب العالمين، بعمليات إرهابية إجرامية. لقد جاء الإسلام ليكون روحًا للحياة، فتشويهه بالإرهاب جريمة لا تغتفر.

الدين حياة الحياة ونورها وجوهرها.. إنما تحيا الأمة بإحياء الدين فيها. أجل، إحياء هذا العالم لا يتم إلا بإحياء قيم الدين الإنسانية في النفوس. اعملوا على إقناع العالم ببراءة الإسلام من الإرهاب مهما تفاوتت نسبة الإقناع.. المهم أن يقتنعوا ولو بنسبة. هذا سيؤدي إلى نوع من التكاتف بصورة أو بأخرى، وإلى أن تلتقي الركب بالركب، والأقدام بالأقدام جنبًا إلى جنب، وإلى اجتماع الناس في صف واحد. بعد ذلك، لكم أن تسموا هذا التلاقي "حوار الثقافات" إن شئتم، أو "حوار الأفهام"، أو "حوار الأديان".. لا يهمّ، لكن جوهره يعني "عالمًا خاليًا من الصراعات" أو "عالم الآدميين الذين لا يقتل بعضهم بعضًا". ■

(*) الترجمة عن التركية: نوزاد صواش. هذه النصوص مترجمة من دروس الأستاذ المنشورة.

إدريس التركاوي*

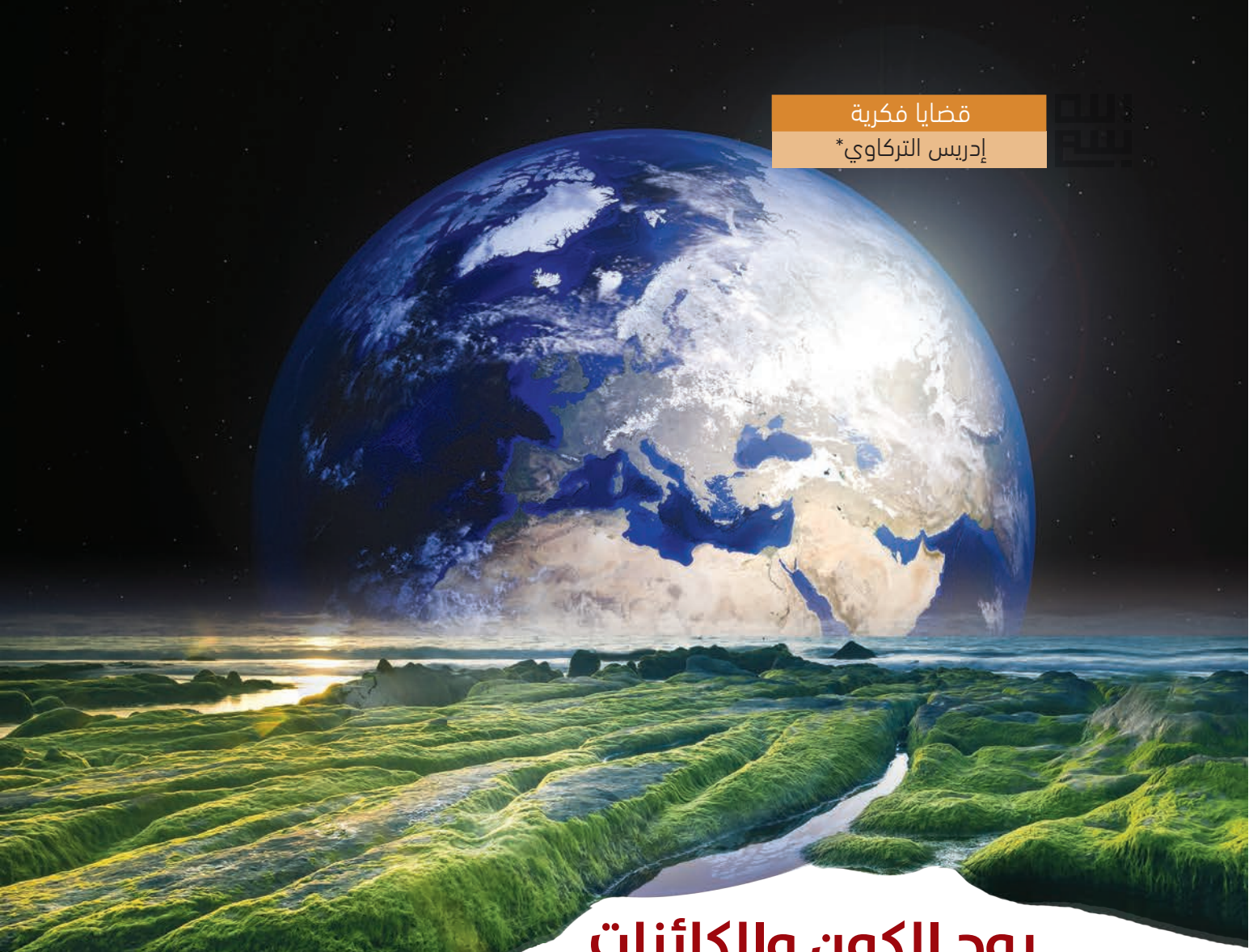

روح الكون والكائنات في وجدان الأنصاري

يعد الكون ركنًا أساسيًّا ضمن جملة الأركان المشكلة لحاكمية القرآن الوجودية وأسرارها الحضارية. فالقرآن بالنسبة إلى الكون في منظور فريد الأنصاري (أبي أيوب) "فهرست الوجود والكشاف لكل موجود".

الكون هذا الفضاء الشاسع والواسع الممتد إلى ما لا يحده بصر الإنسان ولا عقله، إذا ارتبط بوجدان الأنصاري وبأحاسيسه الزمردية المشتعلة؛ ازداد اتساعًا واستحال مددًا حراريًّا سرعان ما تشتعل به أشواقه ومواجيده، فيقذف بالكلمة منه ذات طبيعة شجية ووَهْج حار تأسر القارئ وتشده "إن ما يبهر الإنسان من ذلك ويفيض مشاعره؛ أن القضية هي من العظمة والرهبة بحيث يستحيل على القلب البشري تحمل مواجيدها، بدءًا بالتفكر في هذا الكون الشاسع الممتد من فضاءات لا يحدها بصر ولا تصور ولا خيال، وما يسبح فيه من نجوم وكواكب ومجرات وسدم غائرة بعيدة بملايين السنوات الضوئية، وما يحيطها من سماوات بعضها فوق بعض، وما يعمرها من خلائق نورانية مما لا يدرك له شكل ولا صورة، إلى ما بين هذا وذاك من طبقات الزمان المختلفة عدًّا وتقديرًا من الأيام والسنوات، قد يختزل اليوم الواحد منها ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إلى ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. ورب هذه العوالم جميعًا الخالق لها والمحيط بأزمنتها وأمكنتها كلها، المدبر شؤون حياتها ومماتها وأرزاقها بقيوميته الممتدة من

الأزل إلى الأبد، المالك زمام أحوالها بأنوار أسمائه الحسنى وصفاته العلا ﷻ.. هذا الرب الرحمن الرحيم والملك العظيم المتنزه في مطلق علوه وسموه وجلال كبريائه؛ يقدر برحمانيته ورحيميته أن يكرم الإنسان هذا المخلوق الضعيف القابع في الأرض، هذا الكوكب الضئيل السابح في بحر عظيم زاخر بأمواج السدم والمجرات، فيكون من أعظم مقامات هذا التكريم، أن يخاطبه بهذا الكلام الإلهي العظيم (القرآن الكريم)".

هل رأيت هذا الشريط الوجداني الصافي الذي يحكي قصة تكليف الإنسان، هذا المخلوق الكوني القابع في دركات الضآلة والصغر لولا تكريم القرآن الذي وهبه بعده الكوني ومسؤوليته العظمى؟ ما معنى الفن إن لم تكن هذه الأشواق الحَرَّى التي ينفذ من خلالها الإنسان إلى الماوراء، ويذوق شَهْدَ الحقيقة المثالية من خلال محطات الملك والملكوت الحسية والروحية على السواء؟ أيّ شيطان لعين ذلك الذي اجتال عقول "يونان" وأرداهم ومن تلقف عنهم؛ حينما ألزموا الله علم الكليات ونزهوه -بزعمهم- عن متابعة الجزئيات لأنها لا تليق -في وساوسهم يزعمون- بكماله؟! أليس في هذا إزهاق لروح النعم الجزئية والآلاء الكونية في الآفاق وفي الأنفس الدالة على عظمة الخالق وتعلق أسمائه الحسنى وصفاته العلا بها؟! ما مقتضى هذه الأسماء والصفات إن لم يكن هو ارتباطها بأفعال العباد جليها وخفيها؟ وما متعلَّقُهَا إذا عدمت الجزئيات المنتصبة علاماتٍ فطريةً للدلالة عليها؟ وماذا بقي من الاسم إذا فُرِّغَ من مسماه أو قلْ: من معناه الدال عليه؟!

فلعمري إن لم يكن هذا شركًا أو إلحادًا فلا أقل من وسمه بفساد عقل أو برودة عناد.

إن لمخيلة الأنصاري قدرة خارقة على تمثل الظواهر الكونية والحوادث الوجودية المحيطة بالإنسان لينصب منها صورة كونية كلية، تجعل عين الخيال تتمثل الواقعة أو الظاهرة وكأنها تجري أمامك في شريط أو من على منصة، فإذا هي في النفس مشهد حياتي متحرك، ليس كما يعيشه سائر الناس حيث تغلف البديهة بصائرهم وترمي بسياجها عليها، فتغدو قلوبهم بيوتًا سوداء مظلمة ضاربة في العمى الشعوري المبهم والتيه الوجداني

إن لمخيلة الأنصاري قدرة خارقة على تمثل الظواهر الكونية والحوادث الوجودية المحيطة بالإنسان لينصب منها صورة كونية كلية، تجعل عين الخيال تتمثل الواقعة أو الظاهرة وكأنها تجري أمامك في شريط أو من على منصة.

القاتم، "فيا حسرة عليك أيها الإنسان، هذا عمرك الفاني يتناثر كل يوم، لحظة فلحظة، كأوراق الخريف المتهاوية على الثرى تترى! ارقب غروب الشمس كل يوم لتدرك كيف أن الأرض تجري بك بسرعة هائلة لتلقيك عن كاهلها بقوة عند محطتك الأخيرة، فإذا بك بعد حياة صاخبة؛ جزء حقير من ترابها وقمامتها، وتمضي الأرض في ركضها لا تبالي، تمضي جادة غير لاهية -كما أمرت- إلى موعدها الأخير".

ومن منا لا يرى اضطرارًا مشهد غروب الشمس كل يوم.. ومن منا لا يرمق دوران الأرض في مجاري العادات كل لحظة.. ثم من منا لا يبصر انفلات عمره إلى الزوال.. وهكذا.. ولكن لانغماس النفس في الشهوات، جدار صلب يحجب يقظة الأرواح وتوقانها إلى المطلوب، إلا على أرباب البصائر الذين يقيسون أدنى حركة بسيطة في الكون بمقياس الروح؛ فإذا هي بلبل صداح يعزف سنفونيات كونية خارقة، وينتفض إذا انزعج بوارد أو بارقة.

إن من تجليات حاكمية القرآن على كل شيء خضوع عناصر الكون لكشافه الوجودي والغيبي، وتوجيهه الحُكمي والحِكمي لأشيائه ومخلوقاته عبر نفاذ عز الربوبية في تلك العناصر "امتلاكًا وقهرًا، كما أن الكائنات من خلاله تدور جميعها حول هذا المعنى، سالكة إلى الله خالقها، منجذبة إلى نوره تعالى". مما "يلفت الإنسان إلى مظاهر الكون وحقائقه ليتفكر في خلق السماوات والأرض، كل على حسب طاقته وسعة إدراكه. فيكون القرآن بكونيته هذه خطابًا لجميع الناس بجميع مستوياتهم الثقافية واختلافاتهم اللغوية والعرقية". وهذا هو معنى كونه "روح الكون ومعراج التعرف على الله".

hiragate.com

إن هذا النظر الاستيعابي الشامل لحقائق القرآن ليوسع من أفق قراءة الإنسان للعلاقات بينه وبين المخلوقات الكونية من جهة، حيث يغدو إنسانًا كونيًّا بامتياز لا يسكن الأرض إلا بقدر ما يحقق أخوة كونية مع مخلوقاتها. ومن جهة أخرى؛ تحقيق الألفة والتواصل العمراني مع أخيه الإنسان بشتى مذاهبه وعقائده وأفكاره، "ليس فقط لأنه لا يمكن أن يعيش بصورة انفرادية اعتزالية -فهذا أمر بديهي- ولكن ليكون ذلك مقدمة لإنتاج حوار في المجال الروحي، والتداول المعرفي بحقيقة المعرفة بالله في طريق السير إلى الله".

ذلك لأن القرآن بمعجزته الخارقة "المطلقة عن الزمان والمكان، يحقق أخوة إنسانية كبرى لا يمكن أن تتحقق على هذا الوزان بسواه؛ لأنه شبكة اتصال وجودية ذات أنسجة أفقية وعمودية، فيها مداخل لا حصر لها للإمكانات البشرية. ولذلك فهو يتيح لكل إنسان -مهما كانت ميوله وإمكاناته الطبيعية والفطرية والاجتماعية والثقافية- أن يتصل بحقائق الوجود الحق".

والأنصاري يسمي العلاقات الإنسانية المبنية على التعارف الابتدائي، بـ"العلاقات الأفقية"، فإذا ترقت إلى تعارف قرآني وزرعت في القلوب حبات الإيمان البلورية؛ صارت "علاقات عمودية". وهذا هو السر في تقديم الأولى على الثانية في مقاصد القرآن التواصلية في بعدها الكوني والإنساني الشامل، من باب تقديم مقصد الوسيلة على مقصد الغاية كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)، تمامًا كما رسمها الأنصاري؛ لأنه عقل لم يرض بغير القرآن فضاءً للتحليق والجولان.

الأنصاري معزف مكسور

يتخذ الأنصاري من الطبيعة وعناصر الكون، مصحة روحية واسعة لتضميد جراحاته وإعادة تركيب خابيته المشقوقة، فما دام الكون معادلاً موضوعيًّا للكتاب المكنون، ولما كان هذا في وجدانه قواعدَ وفهرسة للموجودات، صار الآخر هو مائدة شهية وفضاءً "بانوراميًّا" كاملاً، مادته تلك الموجودات.

والأنصاري يستغل الفرصة من خلال هذا التناغم بين الكتابين المنظور والمسطور؛ لاكتشاف الروح الكلية للأشياء -بما فيها روحه هو- وفك شفرات طلاسمها التي باتت بالنسبة إليه شبحًا في ظلام دامس لا يدري حقيقته وسره. يقول في قصيدة "البحث عن فرس إسطنبول":

هل غادر الغدير نبض صخره؟!
أم هل جفاه غاضبًا سناء برقه؟!
فأينها تلك التي كانت هنا؟
ما بين مائه وعطره؟
تشرب من أشعة الندى!
وتلثم الثمر!

رحيل فارس الأناضول النورسي بالنسبة إلى الأنصاري؛ هو انتكاس لروح الأمة، ينعكس شعاعه على روح الأنصاري فتغدو مناخًا كئيبًا يخيم بسواده على النفس المشرئبة إلى الانعتاق التواقة إلى الانبعاث"، "بدل أن أكون أنا أدرس رسائل النور، صارت رسائل النور هي تدرسني.. فقد شعرت بعد ذلك مباشرة أن بديع الزمان صار يسكنني".

وذات غفوة تبددت أطيافها خلف الربى
كأنما امتطت شعاع الشمس ثم غربت
فأصبحت أفئدة الشجر فارغة.
وأرسل الغدير بينها أغرودة الحزن.

تلاحظون كيف تجثم سفينة الكون على ضفاف الروح. فيقتبس منها الفنان صورًا رمزية ليست تتعدى حقيقة روحه هو (أطياف، شعاع، الشمس، الشجر، الغدير)، وهكذا في سائر القصيدة التي تحكمها تيمةُ الخلة مع الأشياء المنضوية تحت لواء الحزن المتفجر -كبركان متدفق- على الكلمات؛ لينسج منها الأنصاري لوحة فنية تتداخل فيها جميع الشعاعات، ومزخرفة بكل ألوان الطيف.

وَيْحي، أنا المعذب المجنون!
(...)
"ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح؟
أباها علي الناس لا يشترونها

hiragate.com

ومن يشتري ذا علة بصحيح"؟!
يا سيدي البوسفور
تلك الرياح مزقتني بين شاطئيك موجة
أو حيرة من رجفة الخريف!
فأخبرني عن سفينة
قد قيل: مرت هنا تحمل غابة صنوبرية
فلم تزل تمخر حزن البحر
حتى رست على مساء "التلة العليا"
ثم ارتقت معراج ريح عابر
واندثرت.

البوح والأنين يترجمان الصراع الدرامي مع النفس، ويحيلان رمزيًّا إلى المعاناة والأسى، الذي تتخبط فيه الروح جراء ما يحدث لواقع الأمة وما حدث بالفعل لتاريخها (أندلس الأشجان، أزمة الموريسكيين، والملحمة الفلسطينية)، كما أفصح عنها في روايته "عودة الفرسان".

والأنصاري حينما يوظف التناص (أبيات ابن الدمينة)؛ يوغل في الرمزية ذات البعد التراجيدي بقصد توسيع أفق القراءة لدى المتلقي، ووضعه في المشهد والاستحواذ على أحاسيسه من كل جانب.

ومن هنا طفق فناننا يستقطب الموجودات وعناصر الكون التي يبدو ظاهرًا عليها تجليات النور، لتركيب شِيَاتِهِ ورسم لوحاته رسمًا تتناغم فيه الأشياء مع وظائفها، وتتواصل أشباحها مع أرواحها من غير تفكيك أو تغيير، كما في مخلوقات (النور، والشمس، والمرجان، واللؤلؤ، والشعاع، والأقمار، والأنجم، والسنا، والصباح، والأبصار، والثلوج)، وغيرها مما يضيء بنفسه، أو ينعكس عليه الضوء واللمعان من غيره. يسترسل في نفس القصيدة السابقة:

فأينها التي كانت هنا؟
(...)
كأنما امتطت شعاع الشمس ثم غربت!
(...)
يا سيدي البوسفور!
(...)
أقسمت أن تضمني إليك مرجانة من نور
أو صدفة تخرج من لؤلئها
(...)
أكلما التقطت من أخبارها خيط السنا؛
خطفه الظلام؟!
(...)
وقيل لي: بل غادرت إلى غروب الدردنيل
حيث الشموس لا تنام أبدا
وإنني أذكر من غرامها حب الشعاع
فلم تزل تقطف من سنائه ورد الصباح
(...)
تشهد ذوب الشمس في بحيرة الأسرار
على سنا الأقمار
(...)
يا سيدي الإمام دلني
فإنني أنا الحيران بين أنجم السفر.

المخلوقات كائنات نورانية تلمع بالنور، لا سيما تلك التي برأها ربها في هيئته، وطبعها بمادته، ورسمها على شاكلته، فهي تضيء للأنصاري الطريق أو تساعده على اكتشاف ذاته بين دفائن الأسرار التي قد لفها الإبهام بجلبابه، وانسدل على مسرحها الستار فأظلمت ولم تنفرج.

لكن لصبح الفرج ميعاد وميقات، ولفجر الحقيقة بعد انسدال الظلام إسفار، ولشمس النصر بعد الغروب إشراق.

الإيمان ينفث في روع المؤمن؛ أن استرسال الظلام والسواد في مقابل نور الأمل وجمال الأنس بالله، إنما هو طيف عابر، هو في عقيدة المسلم، ما أشبهه بالزوال الذي ينصب في الحقول لإخافة الطيور.

رحم الله أبا أيوب رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه بفضله ومنه وكرمه. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المرجع

(1) رجال ولا كأي رجال، لفريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ٢٠١٣م.

hiragate.com

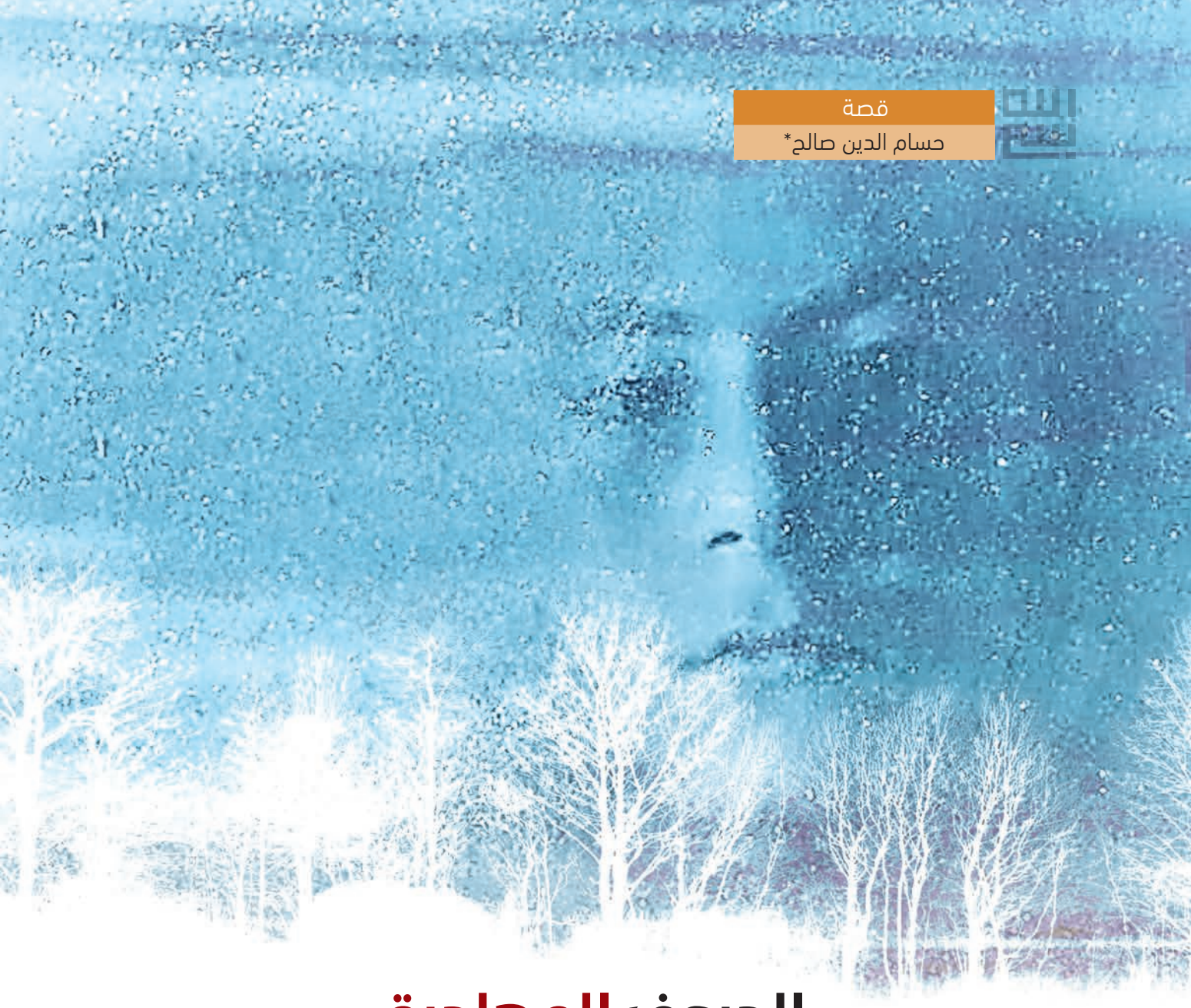

قصة

حسام الدين صالح*

الحروف المهاجرة

في آخر الليل، مظروف أنيق كان أمامه على الطاولة حوله أشتات من الأوراق، كُتب على ظهره "إلى أمي الحبيبة". بجانب المظروف ترقد صورة صغيرة قبالة وجهه.. جعل ينظر إليها وتنظر إليه.. قلمه المستقر بين أصابعه كان ينتظر منها إشارة ليبدأ الكتابة. لحظات صامتة تمر وهو ينظر إليها في الصورة وهي تنظر إليه. لَكَم كان يتمنى لو يظفر بها على الحقيقة. الأحاديث كانت تنساب من رأسه لتمتزج بمداد قلمه كلما نظر إليها. أعاد النظر إليها مرة أخرى، ثم أخذ ورقة من أمامه وبدأ يكتب عليها في صمت.

- بالأمس كان خيالي يرسمك عالمًا سماويًّا من الدهشة، ولكني أراك الآن وجودًا تغوص فيه العيون. كان عمري يصير بين يديك طريقًا، واليوم الحيوات جميعها تنهض للسفر إليك.

صورتك أمامي في غاية الوضوح.. كم أنت جميلة ورائعة.. الآن فقط تعلمت الكتابة فاعذريني إن كان خطّي رديئًا. سنين عددًا صبرتها حتى تولد هذه اللحظة لأكتب فيها رسالتي الأولى. أحبك من أعماقي، أحب وجهك الوضّاء الذي تدلّت عليه خصلات شعركِ الذهبية لتقيهِ سجود الذل الذي عمّ المدائن. لا عليك -حبيبتي- إن شدّوا ضفائرك المجدولات، وجذبوها إليهم في قسوة، وعقدوها أسلاكًا شائكة، تصرخ من الألم فأنا أحبك.. أحب فيك حاجبيك الحزينتين ولا تقلقي، فحتى عروسي الجميلة أحبتها لذات الحاجبين. لا تحزني.. لن أبكي على خديك المتوردين وقد شق فيهما الأسى من الدموع أودية تشهد للزمان المر. لن أتحسّر على أي دمعة تسقط من مقلتيك المغرورقتين، فكل واحدة تسقط، ستشربها أرضك لتعانق سماءك يومًا وهي أزاهر ورياحين. شفتاك المزمومتان اللتان أطبقهما الحزن والعجز واليأس لا أنظر إليهما كذلك فأنا أراكِ الآن. أراهما شفتين انتهتا حالاً من نطق كلمة "حُبْ"، ولا أراهما إلا مُطْبِقين على قُبْلة حَرّى تزمعين إيداعها أبناءك الحيارى.

حينما كتب كلمة "الحيارى"، عانقت نظرته الصورة ثم أخذ ورقة ثانية وبدأ يكتب عليها:

- رُحت أبحث عنك من بلد إلى بلد منذ أن اقتلعوني من بين حضنك الحاني الدفئ. لم أدع مرفأ أو مهبطًا إلا وحللت به أفتش عنك. حتى رأيتك بعدها وأنت -يا أسفي- بوجهك المصوّر على الصحف والشاشات. ها أنذا أحمل صورتك معي أنّى ذهبت، أحتضنها، أضعها أمامي، أتملّى فيكِ ولا ترتوي نظراتي العطشى فتمتد يداي لتتلمّس الدروب، فلا أمسك غير صورة.. أشتاق إليك.. أشتاق إليك حقيقة.. لا تغضبي مني لأني لم أبلّ ظمأكِ بلقياك إلى الآن، فلقد كنت -نعم- أراك في كل مكان، لكني -يعلم الله- لا أعلم لك عنوانًا. وبعد أن وجدته كيف سأكتب إليك وأنا أعزل لا أعرف الكتابة ولا أمسك القلم كما أخبرتك.. لَكَم والله كنت أنتظر هذه اللحظة بشغف، كنت أدأب كي أتعلم الكتابة حتى أصل إليك، كنت أخط على الرمل عندما لا أجد قلمًا وورقًا حتى حانت هذه اللحظة العلوية وأنا أكتب فيها إليك.

لقد لاحظ وهو يكتب، أن تيار الماضي بكل ألمه وبؤسه وهزيمته كان يغيبه عن الحاضر ويأخذه بعيدًا عن المستقبل.. فأوقف الكتابة وصار ينظر إلى الصورة أمامه، ووجد نفسه يسند ظهره إلى الكرسي ويرفع رأسه إلى السماء، ثم بحركة نشطة يعود ويتناول ورقة ثالثة ويبدأ يكتب عليها:

- رجاءً عزيزتي، بعد أن عرفت العنوان وتعلمت أنا الكتابة، توقعي -بعد رسالتي الأولى إليك- قدوم ابنك البار مع إخوانه في أقرب لحظة. وافرشي الورود -من فضلك- وودّعي العويل، فنحن قادمون ولا بد أن نصل. وتقبلي تحياتي وتحيات أبناءك الأطهار، وانتظري لحظة الحقيقة، عندما أطأ أرضك ظافرًا.

عندما أنهى الكتابة كانت نشوة دافقة بالأمل والتحفّز تسري في جسده، وتمتد لتصل أصابع يديه تجعله يغلق المظروف وبداخله الخطاب دون أن يوقّع عليه اسمه.. كان متلهّفًا لصباح الغد حين يجيء ويأخذ خطابه أول ذاهب لفلسطين. ■

عندما أنهى الكتابة كانت نشوة دافقة بالأمل والتحفّز تسري في جسده، وتمتد لتصل أصابع يديه تجعله يغلق المظروف وبداخله الخطاب دون أن يوقّع عليه اسمه.

(*) كاتب وأديب سوداني.

أ.د. أحمد مليجي*

إن الذين وهبوا قلوبهم للمبادئ السامية وتحمّلوا آلامها وأوجاعها، يقضون حياتهم كمِبخرة تضطرم فتنشر روائح زكية.

الموازين

إحياء الأرض الميتة

القرآن الكريم معجز بحسن ألفاظه وسحر أسلوبه وشرف معانيه، وهو معجز كذلك بدقة نظمه وبدائع ترتيبه وكمال تناسق كلماته وآياته وسوره، ولهذا قال الأصفهاني: "إن القرآن معجز، والركن الأبين للإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب".

فالترتيب والارتباط بين دفتي القرآن الكريم معجز في سوره وآياته وكلماته، يقول البقاعي: "إن ترتيب السور في السياق الترتيلي الذي هو بين دفتي المصحف الذي عليه الأمة جمعاء، إنما هو مظهر من مظاهر إعجازه البياني، وأن تناسبه المعجز ليس بالمحصور في تناسب النظم التركيبي الماثل في بناء الجملة، بل هو أيضًا متحقق على كماله في نظمه الترتيبي الماثل في علاقات الجمل بعضها ببعض في بناء المعقد، وعلاقات المعاقد بعضها ببعض في بناء السورة، وعلاقات السور بعضها ببعض في بناء البيان القرآني العظيم كله مفتتحًا بسورة الفاتحة ومختتمًا بسورة الناس".

ولقد تعاملت في أبحاثي العلمية منذ أكثر من عشر سنين مع آية عظيمة من القرآن الكريم، فوجدت أن كل كلمة قد وضعت في مكانها، ولها دلالات علمية واضحة تفسر بأسلوب علمي بديع عملية الإنبات وما يعتريها من تجوية جيوكيميائية، بل إن الترتيب لكلمات الآية ترتيب معجز، حيث لا يمكن أبدًا أن نغير كلمة مكان كلمة، وهذه الآية هي قول المولى ﷻ: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(الحج:٥).

ولقد أشار المولى ﷻ بترتيب علمي غاية في الدقة، إلى خطوات إخراج النبات في صورته البهيجة من الأرض الميتة الهامدة، حيث أشارت الآية الخامسة من سورة الحج الآنفة الذكر، إلى خمس حلقات متسلسلة ومترابطة:

١- الأرض الهامدة أو الخاشعة

﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾(فصلت:٣٩). وهي الأرض التي لا يكون فيها حياة ولا عود ولا نبت بل هي ميتة، ولكن يتكون بها فتات صخري تجمع نتيجة التجوية. ويمكننا تعريف كلمة التجوية أو التأثير الجوي، بأنها مجموعة العمليات التي تسبب تفتت الصخور وتحللها، لكي تتمكن عمليات النقل بعد ذلك من حملها ونقلها إلى مقرها الأخير، مما يؤدي إلى تكوين التربة، وهي قد تكون هامدة أو خاشعة.

والتربة بالمعني الجيولوجي والزراعي، هي الطبقة السطحية من الوشاح الصخري، سمكها في العادة لا يزيد عن عدة أقدام، وهي تتكون من خليط من جسيمات معدنية مختلفة تنتج من عمليتي التجوية الميكانيكية والكيمائية لمادة الأساس الصخري. وتتكون كذلك من المواد العضوية المتحللة التي تسمى بـ"الدبال" (Humus) ومن الماء والعناصر الرئيسية المنفصلة من التجوية الكيميائية، وهي الكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والمغنسيوم.

٢- نزول ماء المطر

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾. من فضل الله على عباده ورحمته ولطفه بهم، أن ينزل ماء المطر من السماء

لقد سبق القرآن الكريم علماء الطب النفسي في أن علاج مريض الاكتئاب يكون بتأمل ألوان الطبيعة الخضراء، والتي تجلب البهجة والسكينة والطمأنينة والسرور.

خاليًا من الشوائب، وأن يكون في غاية النقاء والصفاء والطهارة عند بدء تكوينه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾(الفرقان:٤٨). فالشمس هي المحرك الأساسي لدورة الماء، حيث تقوم بتسخين المياه في المحيطات التي تتبخر، أي تتحول إلى بخار ماء داخل الجو. وتقوم التيارات الهوائية المتصاعدة بأخذ بخار الماء إلى أعلى داخل الغلاف الجوي، حيث درجات الحرارة الباردة التي تتسبب في تكثيف بخار الماء وتحويله إلى سحاب. تقوم التيارات الهوائية بتحريك السحب حول الكرة الأرضية، وتصطدم ذرات السحاب وتنمو وتسقط من السماء كأمطار.

ويتكون جزيء الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي أيدروجين برابطة قوية لا يسهل فكها، وترتبط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاوله قطبية كهربية واضحة، لأن كلاً من ذرتي الأيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية، وذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، مما يجعل جزيء الماء غير تام التعادل كهربيًا، والماء بهذه الصفات الطبيعية المميزة إذا نزل على تربة الأرض، أدى إلى إثارتها كهربيًا، مما يجعلها تهتز.

ومن إعجاز هذه الحلقة، أن نزول ماء المطر أو الري المتكون من الأمطار، عندما يسقط الماء يبدأ في التفاعلات الجيوكيميائية لجميع الأراضي الهامدة، فتدب بها الحياة.

٣- الاهتزاز

قال تعالى: ﴿اهْتَزَّتْ﴾، وكلمة "اهتزت" تخبرنا عن حقائق عرفناها نحن الآن؛ ففي عام ١٨٢٧م اكتشف عالم بريطاني اسمه "براون"، أن ماء المطر إذا سقط على التربة، أحدث لها اهتزازات تهتز لها حبيبات التربة، ونظرًا لدقة حجم الحبيبات الصلصالية (التي لا

hiragate.com

يتعدى قطرها واحد على ٢٥٦ من المليمتر، أي أقل من ٠,٠٠٤ من المليمتر)، تتكون المعادن الصلصالية أساسًا من سيليكات الألومنيوم المميأة، وهذا المركب الكيميائي له قدرة على إحلال بعض ذرات الألومنيوم بذرات قواعد أخرى مثل المغنيسيوم والكالسيوم، ونتيجة لإحلال ذرات الألومنيوم بذرات غيرها من العناصر، ترتبط بعض الأيونات الموجبة الشحنة مثل الصوديوم والكالسيوم على حواف وأسطح رقائق الصلصال لمعادلة الشحنات السالبة، الناتجة عن إحلال ذرة الألومنيوم الثلاثية التكافؤ بذرة الكالسيوم أو المغنيسيوم الثنائية التكافؤ.

والأيونات الموجبة -مثل أيونات الصوديوم والكالسيوم- سهلة الإحلال بقواعد أخرى، مما يحدث اهتزازًا في مكونات رقائق الصلصال في وجود جزيء الماء القطبي الكهربية.

تتكون حبيبات التربة من المعادن المختلفة، والتي تتركب من صفائح متراصة بعضها فوق بعض. كما نجد إبداع الله ﷻ في ترتيب وتنسيق ذرات المعدن الواحد المتواجدة في التربة، ومثال ذلك معدن الأليت، كما أن هذه الذرات هي معمل التغذية للنبات، حيث تنطلق منها المواد المغذية للنبات مثل البوتاسيوم والماغنسيوم والكالسيوم، لكي يمتصها النبات ويتغذى عليها.

فإذا نزل المطر تكونت شحنات كهربائية مختلفة بين الحبيبات بسبب اختلاف هذه المعادن، ويحدث تأين نتيجة لاختلاف الشحنات الكهربائية المتولدة، فتهتز هذه الحبيبات نتيجة هذا التأين بحركة عشوائية، مما تؤدي بدورها إلى دخول الماء بين الصفائح المتراصة. ومن ثم فعند نزول الماء على الأرض بكميات مناسبة، يؤدي إلى اهتزاز حبيباتها، وقد لاحظ العالم "روبرت براون" هذه الحركة للدقائق الغروية، ولذا سميت من بعده باسم "الحركة البراونية"، ثم يتبعها الحلقة الرابعة من ربو التربة.

٤- الربو والزيادة

﴿وَرَبَتْ﴾؛ يقصد بـ"الربو" الزيادة والنماء، وهذا ما يتحقق علميًّا للتربة بعد الاهتزاز، فإن ذلك يؤدي إلى دخول محاليل التربة إلى داخل الصفائح المعدنية، مما يؤدي إلى خروج الكتيونات المغذية للنبات مثل البوتاسيوم والكالسيوم وغيرهم، مما يؤدي إلى انهيار ذرات المعدن، كما هو واضح في معدن الأليت، مما تعرف هذه العملية بالتجوية الجيوكيميائية.

٥- الإنبات

﴿وَأَنْبَتَتْ﴾؛ بعد الحلقات الأربعة السابقة تحدث عملية إنبات البذور، وتنتقل المواد المغذية البسيطة المنفصلة بعد الاهتزاز والربو، إلى النباتات، فتنبت أعضاؤه وتبدأ ببزوغ الجذير نحو الأسفل، ثم تليه الريشة التي تعطي المجموع الخضري إلى أعلى لتظهر فوق سطح التربة بألوانها الجميلة.

نعم، لقد سبق القرآن الكريم علماء الطب النفسي في أن علاج مريض الاكتئاب يكون بتأمل ألوان الطبيعة الخضراء، والتي تجلب البهجة والسكينة والطمأنينة والسرور. هذا الربط الرائع بين الحدائق وحدوث البهجة ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(النمل:٦٠).

جاءت الآية القرآنية في مقام التسلسل والارتباط الدقيق، حيث جاءت في صياغة علمية غاية الدقة، ومحكمة غاية الإحكام، ولقد أشارت الآية الخامسة من سورة الحج إلى عملية الإنبات من خلال خمس حلقات متسلسلة. ولقد نزلت هذه الآية الكريمة في زمن لم يكن لأحد من الناس أن يعلم معنى كلمتي: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ المذكورة في الآية القرآنية السابقة، والتي تؤكد حدوث اهتزازات للتربة وما يتبعها من عمليات التجوية المختلفة، والتي تزيد من مساحة السطح النوعي للتربة، والمعرض للنشاط الكيميائي العالي الذي يؤدي إلى زيادة انفصال العناصر الرئيسية المغذية للتربة، ولم يكن أحد يستطيع الإلمام بتلك الحقيقة العلمية ولا بطرف منها، وظلت أجيال الناس جاهلة بمعناها وذلك لمدة قرون متطاولة بعد زمن الوحي، حتى تم الإلمام بشيء منها منذ القريب بعد ظهور التقنيات الحديثة لفحص الاتحادات البنائية المكونة لحبيبات التربة، الذي لم يخترع إلا في عام ١٩٥٢م. ■

(*) رئيس قسم العلوم الجيولوجية بالمركز القومي للبحوث، القاهرة / مصر.

hiragate.com

أناس الكنوني*

أعشق

أعشق المطر ونسمات التراب المبلل بقطرات المطر، وهمسات البشر عند نزول المطر.. "الحمد لله" ويشدوني الحنين إلى اعتناق الدرر، والأكف ترفع في الهواء لتلامس حبات المطر.. كأني ألامس الملائكة وهي تنزل بقطرات المطر لتثبتها في الأرض.. أتفكر وأتدبر في روعة الموقف وعظمته، وأنساب وأتغلغل في ملكوت المولى وحكمته.. فتنزل الدمعات وتختلط مع قطرات المطر، وتثبت مع عشيقتها التي عشقتها، لتقول له إني أحبك يا ربي.. أحبك.. هل يا ترى تحبني؟ أعلم يا ربي أني أخطأت، غررت وسقطت، لكني يا ربي عدت واستشعرت الموقت وعجزت، عجزت عن كل شيء؛ عن طلب أشياء أتمناها، عن أشياء أهواها، عن أشياء بودي إياها.. شيء واحد استطعت قوله فقط، سامحني ربي سامحني.. سامحني.

نعم، أعشق الليل وأهواه، أعشق صمته، هدوءه، وفاءه، صدقه، وحدته المؤنسة بقرب ربي.. نعم، أهواه، لا أستشعر البرد ولا شكواه، ولا عتابه ولا سهامه، بل جماله وروعته الهادئة، وعبيره الرباني في ثلث الليل، نزل كسكينة كطمأنينة تغشاه، يقول: "هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له".. تذوب روحي، ينفطر قلبي، يسيل دمعي، ويرتاح قلبي، وتهمس الشفاه، حقًا إني أهواه، حقًّا إني أهواه. آه منك يا أيامي ويا لياليّ، خاب رجائي في كل شيء، غير ربي ما خذلني أبدًا ما خذلني.. وحاشا أن أفكر بذلك حاشا، أو أن يقلّ رجائي، فأنت المولى فيك كل شيء لا يوصف ولا يعبر ولا يعد ولا يخطر حتى على البال.. وتهتف الروح من جذور أشجانها: "ربي أنا ذاهب ولو لم تشأ ما ذهبت، ربي أنا فاعل ولو لم تشأ ما فعلت، ربي أنا غالب ولو لم تشأ ما غلبت، ربي أنا مغلوب ولو لم تشأ ما غلبت.. ربي أنا حزين فالحمد لك حتى تفرج عني وبعد أن تفرج عني، حمدًا وشكرًا يليق بمقامك.. وتسقط الأمطار غزيرة، غزيرة غزيرة.. ربي كن إلى جنبي، إني فقدت الثقة في كل شيء حتى في نفسي، فكن حدي فإني أثق بك وبدون زيادة، ربي تعجبني كم حاجة وحاجة، تعجبني كم وردة ووردة، وتلدغني كم شوكة وشوكة، وينفطر قلبي كم مرة ومرة.

ربي أنت تعلم أني بفضلك لم أسقط ولم أتجاوز، فكن حدي واحفظني بما تحفظ به عبادك المصلحين، وتذوب الروح في الجسد، وتهتف بترانيم روح وأشجان قلب: "ربي أنت تعلم أني قد أحسن الاختيار تارة، وقد أسيء الاختيار تارة، فإني وكلتك كل أموري، وعليك توكلت، فاختر لي وإن أسأت التقدير الآن، ستجدني راضيًا شاكرًا حامدًا بعدها.

آه كم أعشق ذلك السلم المعراجي، وكم أطمح صعوده وتسلقه.. آه كم أعشق الوحدة بين ضفاف رحمتك ربي والمطر يبلل خدي.. آه كم أعشق.. يبدأ المطر يخفت شيئًا فشيئًا، وأبدأ التساؤل: يا ترى ماذا جرى؟ هل ملائكة الرحمان سترحل؟ أم أن الأرض قد امتلأت عن آخرها ولم تعد تستطع هشاشة قلبها أن تتحمل.. بلى، بلى، خذي قلبي إذن، وضعيه إلى جانب قلبك، فلم يعد يهمني، ودعيني فقط لبعض ساعات أو دقائق إذا أردتِ أن أتحسس حنان وعطف الملائكة في قطرات المطر. دعيني أشرب من نهر عشقهم الرباني، أستقبل وأتحسس رقتهم بين أناملي. أحب فعلاً أني أحب، لكن لا أحب إلا ذاك الحب الذي زرعه ربي في قلبي، فهو في دمي يسري، وإني لا أسرّ سري وأكتفي.. إني أعشق وحدة الليل مبللة بأمطار تهب بها رياح الشوق معبأة بنسائم التربة الفردوسية التي نزلت مع ملائكة الرحمة. ■

(*) كاتب وأديب مغربي.

د. محمد السقا عيد*

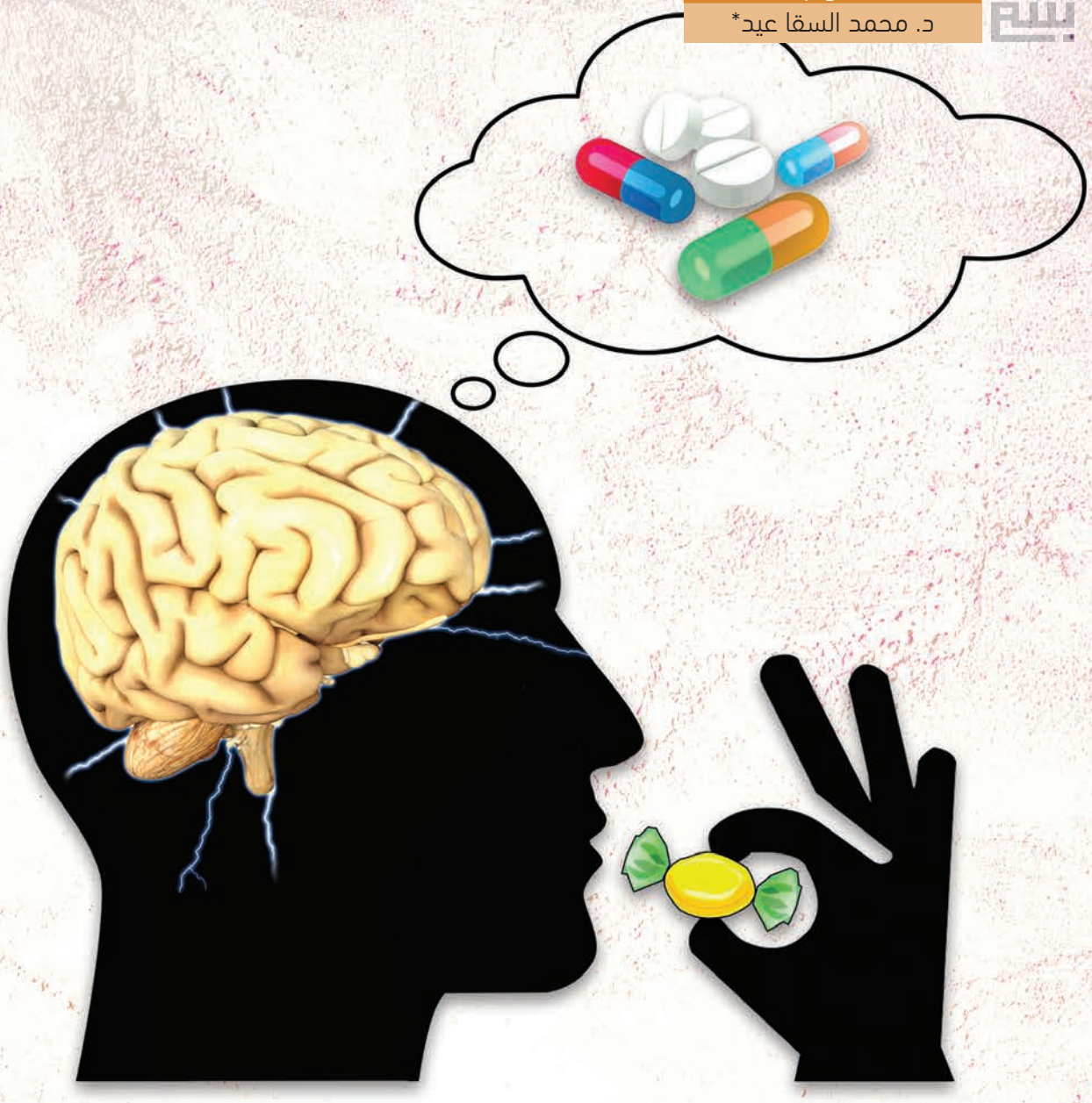

العلاج بالوهم

من الألغاز الغريبة التي لا نعرف لها أساسًا، معجزات الشفاء لبعض المرضى من أمراض عضال، فالكسيحون يمشون، والعميان يرون، والأورام تزول.. أمراض عجز الطب عن شفائها، ومرضى حفيت أقدامهم بحثا عن علاج.. كل ذلك ينقضي أحيانًا في لمح البصر دون سبب مفهوم. يأتي المريض محمولاً على محفة، أو زاحفًا على ركبتيه وينصرف ماشيًا على قدميه، أو يأتي أعمى يتلمس طريقه بعصا أو مستندًا على كتف صبي وينصرف بصيرًا يرى الأشكال والألوان.

حدثت هذه الظواهر ولا تزال تحدث في كل عصور التاريخ، وفي شتى أنحاء الأرض، وتتحول إلى قصص يرويها الناس، ويشكك فيها الأطباء والعلماء، فلا المرضى يتوقفون عن الذهاب، ولا الأطباء يقتنعون.

ولكن لكثرة ما حدثت هذه الظواهر، ولكثرة ما كتب عنها من تقارير، بعضها من وضع أطباء معالجين، ليس من السهل أن نرفضها ابتداء، فهي إحدى الغرائب والألغاز في هذه الحياة، وعلينا أن نقبلها ثم نختلف بعد ذلك في تفسيرها كما نشاء. ترى ما اسم هذه الظاهرة؟ وكيف تحدث؟ وما هو تفسيرها؟

العلاج الوهمي (البلاسيبو)

"البلاسيبو" (Placebo)، كلمة لاتينية الأصل تعني "سأتحسن". والبلاسيبو أو العلاج الوهمي، هو العلاج بأدوية لا تحتوي على أي عناصر علاجية ولا تأثير لها على الإطلاق، كإعطاء المريض "حبوب سكر" على أنها حبوب دوائية، أو إجراء العمليات الجراحية الوهمية، كجراحة "اللاشيء" التي ابتكرها أطباء ولاية تكساس.

وتتمثل في تخدير المريض وتهيئته نفسيًّا لعملية جراحية حقيقة، ولكن كل ما يحدث هو تخدير المريض وإحداث جرح بسيط بالمكان المراد علاجه ثم خياطته دون فعل أي شيء.

والمدهش حقًّا هو شفاء كثير من المرضى بعد إخضاعهم لهذا العلاج الوهمي، والسبب هو الاعتقاد، حيث أثبت العلماء أن الاعتقاد يمثل ٣٠٪ من أي علاج.

يرجع ذلك إلى عام ١٩٥٥م، حيث ابتكر طبيب التخدير "هنري بتشر" فكرة العلاج الوهمي، إذ قام بعدة أبحاث ودراسات حول كيفية تحسين الصحة باستخدام مادة غير فعالة دوائيًّا، وأكد أن ٣٥٪ من الحالات المرضية قد تماثلت لشفاء بالفعل بالعلاج الوهمي، وهو ما أثار شكوك الكثير من الأطباء والعلماء آنذاك، فما كان منهم إلا رفض الفكرة ودحضها والتشكيك فيها.

وفي عام ٢٠١١م، توصلت دراسة في جامعة هارفارد الأمريكية، إلى إثبات صحة هذه النظرية، مؤكدة أن الوهم يلعب دورًا كبيرًا في شفاء كثير من الحالات، عن طريق إحداث تغييرات في العمليات الكيميائية في المخ.

أعطى الباحثون حبوبًا دوائية وهمية لبعض المرضى الذين يعانون من الاكتئاب الحاد، وأعطوا لمرضى آخرين حبوبًا دوائية حقيقية، فكانت النتيجة تحسن المجموعتين بنفس المستوى.

ولا يقتصر دور العلاج الوهمي على علاج الأمراض الجسدية فقط، بل وصل للأمراض النفسية أيضًا، حيث يرى أطباء النفس أن البلاسيبو في الأساس "ظاهرة نفسية"، لذلك يمكن استغلالها لعلاج المرضى النفسيين.

وقد تم بالفعل تجربة فعالية العلاج الوهمي مع بعض المرضى الذين يعانون من الاكتئاب الحاد، عن طريق إعطائهم حبوب دوائية وهمية، في حين إعطاء مرضى آخرين حبوب دوائية حقيقية، فكانت النتيجة تحسن المجموعتين بنفس المستوى.

اللغز وتفسيره العلمي

بينت الأبحاث أن المريض الذي يتناول الدواء معتقدًا بالشفاء، فإن دماغه يطلق كمية من الأندورفين، وهذه المواد تلتحم بمراكز التحسس بالألم، وتحجب الإشارات العصبية المشعرة بالألم، وهكذا تتحقق الراحة. فالشفاء بالإيحاء والإيمان والتخيل، جميعها من مهام العقل الباطن. فالإيحاء بفكرة ما، تؤثر على العقل الباطن للإنسان تأثيرًا واضحًا؛ فإذا قلتَ أنا أنسى كثيرًا، أنا لست قويًّا، أنا كثير المرض.. فإن هذه الكلمات ستؤثر على حياتك سلبًا. وإذا قلت لشخص ما، "إنك تبدو مريضًا، لونك مصفر، أنت ضعيف.. فإنه سيتأثر بذلك ويصبح هذا الإيحاء حقيقة عنده.

تؤكد أيضًا بعض الأبحاث والدراسات فعالية العلاج

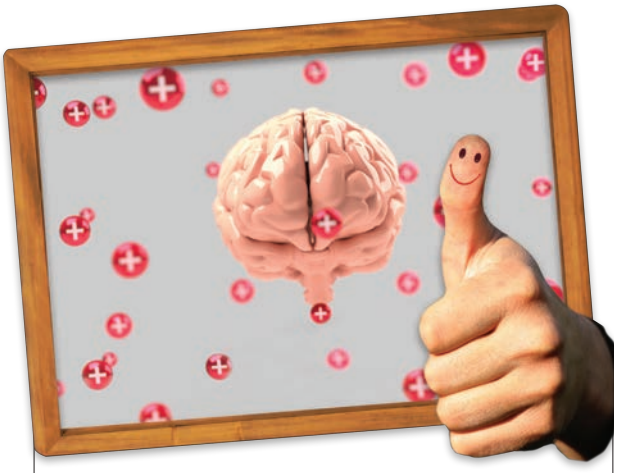

الإيحاء بفكرة ما، تؤثر على العقل الباطن للإنسان تأثيرًا واضحًا؛ فإذا قلتَ -مثلاً- أنا كثير المرض، فإن ذلك سيؤثر على حياتك سلبًا، ويصبح هذا الإيحاء حقيقة عندك، والعكس صحيح.

الوهمي، وفقًا لعاملين هامين هما "التكيف" و"التوقع"، حيث إن لكل منها أثرًا كبيرًا في تحسن الحالة الصحية للمريض.

ويتمثل التكيف في الجو المحيط بالمريض، بداية من إرشادات الطبيب، مرورًا برائحة الأدوية وأصوات الآلات، إلى الجو العام بالمستشفى كاملاً.. كل هذه العوامل تعتبر محفزات بالنسبة للمريض، وتؤثر فعليًا في تحسن حالته الصحية.

بالإضافة إلى توقع المريض واعتقاده أن هذا الدواء سيثبت فعاليته أم لا، فعلى حسب التوقعات تأتي النتائج في أغلب الأحيان، لذلك في حالات كثيرة يشترط الشفاء من مرض ما، بتحسن الحالة النفسية الناتج عن الاعتقاد والتوقع الذي يسكن العقل الباطن للمريض، فإذا كانت أفكاره سلبية ستكون النتائج سلبية أيضًا، فشعور المريض أن الدواء لن يجدي نفعًا تتسبب في تدهور حالته الصحية بالفعل، والعكس.

التفسير النفسي (الإيحاء الذاتي)

إن أشهر تفسير لمعجزات الشفاء أنها تتم بالإيحاء الذاتي؛ فإن عددًا كبيرًا من هؤلاء المرضى يؤمنون إيمانًا عميقًا بأن معجزة ستحدث في هذا المكان، فلا تلبث أن تحدث معجزة بالفعل، ربما باتحاد قواهم النفسية أو بقوة عقلهم الجماعي اللاواعي، وما إن تحدث حالة شفاء حتى يزداد الاعتقاد رسوخًا وتتكرر الظاهرة مرارًا.

يؤكد طبيب الأعصاب الألماني " جوهان شولتز" (Johan Schultz) مؤسس هذا العلم الذي وضع الأطر الأساسية للاسترخاء بالإيحاء الذاتي عام ١٩٣٠م، والتي أطلق عليها "المتولدات ذاتيًا"، بأن إقناع أجزاء الجسم بتوليد أحاسيس خاصة بها هي أفضل الطرق للاسترخاء والتخلص من الضغوط الناجمة عن العمل أو المشاكل الأسرية أو حتى الصحية.

فالإيحاء الذاتي له قوة معنوية هائلة التأثير في الإنسان. فالإنسان جسد وروح، وكثيرًا ما تكون للأمراض العضوية أسباب نفسية، هذه الأسباب إذا زالت زال مظهرها العضوي بالتالي، وأغلب هؤلاء المرضى الذين تحدث لهم معجزات الشفاء في "الأماكن المباركة"، يكونون من هذا النوع، أي من المرضى النفسيين الذين يتخذ مرضهم شكلاً عضويًا كالعمى أو الكساح، فإذا زاروا المكان وهم مؤمنون بالشفاء حتمًا، فإن مخهم يصدر الإشارات أو الموجات اللازمة لفك المرض العضوي الذي يشكون منه.

و لكن بعض الخبراء لا يكتفون بهذا التفسير، وإنما يتصورون أن البقعة التي يحدث فيها الشفاء توجد بها قوة خاصة قادرة على إبراء الأمراض، هذه القوة عبارة عن قوى مغناطيسية تستطيع التأثير في الجسم البشري.

قد يستهين أناس بقوة تأثير الإيحاء النفسي، والحقيقة أن للقدرة على إتقان هذا الإيحاء تأثيرها المذهل، فهناك علاقة قوية بين العقل والجسد لا يمكن لأحد أن ينكرها، وكل يوم تكتشف الأبحاث والدراسات ما يثير دهشتنا حول هذه العلاقة ومدى تأثر الجسد بالعقل الباطن تحديدًا، ويتجلى ذلك في كثير من المواقف، وهذه بعض الأمثلة:

• أراد بعض الأطباء النفسيين تجربة ذلك، فقاموا بتجربة ناجحة على شخص محكوم عليه بالإعدام، وذلك بأن ربطوه على منصة العمليات بأربطة شديدة، وعصبوا عينيه وأوهموه بأنهم سيجرون عليه تجربة علمية لمعرفة الزمن الذي سيموت فيه بعد النزيف، ثم وكزوه بإبرة طبية في عضلة رقبته وأوهموه أنها في الشريان، وعلقوا زجاجة من الماء بخرطوم يتساقط منها

الماء، نقطة بعد نقطة.. وأوهموه بأن النقاط المتساقطة هي دماؤه وبعد ساعة توفي الرجل اعتقادًا منه أن دمه قد نزف، والواقع أنه مات من الوهم والإيحاء.

• اكتشف باحثون إيطاليون أن العلاج بالإيحاء كان له أثر إيجابي كبير على أدمغة بعض مرضى شلل الرعاش (باركنسون) بصورة لم تكن متوقعة.

• وأعطى باحثون من كلية طب جامعة تورين الإيطالية بقيادة الدكتور فابريزيو بانديتي، عددًا من المرضى، محلولاً ملحيًّا عاديًّا وأخبروهم أنه أحد أدوية المرض، ثم راقبوا الخلايا العصبية في أدمغتهم فوجدوا أن استجابة الخلايا لذلك المحلول الملحي تماثل استجابتها للدواء الحقيقي.

• جاء في مجلة طبيبك عن الدواء (الدواء الغفل)، عبارة عن مواد لا مفعول لها، فهو حبوب سكرية أو نشوية، ويقال له جالب السرور. ولهذا الدواء تأثير فعال في شفاء الأمراض، فقد خفض صدمات الذبحة الصدرية بنسبة ٨٢ إلى ٩٣٪ ، وأنقص الصداع والشقيقة بنسبة ٥٠٪.

وأدى إلى شفاء القروح الاثني عشرية بنسبة ٥٠ إلى ٦٠٪، وقلل آلام المفاصل والاكتئاب والقلق.. والسر في تأثير الدواء بالشفاء هو الحالة النفسية فقط، حيث يقتنع المريض بفائدته ويوحي إلى نفسه بالشفاء بعد تناوله.

• يحكى أن أحد الأطباء اليونانيين قديمًا، استنكر على الملك إطلاق لقب "الطبيب الأول" على سقراط، وادعى أنه أفهم منه، فأبلغ الملك سقراط بقول الطبيب، فكان رد سقراط: إذا أثبت ذلك فإن اللقب سيكون من نصيبه. ولما سأل الملك الطبيب عن وسيلته لإثبات صحة قوله قال: أنا أسقيه السم الزعاف وهو يسقيني، فأيُنا تمكن من دفع السم عن نفسه فهو الأعلم، أما الذي يصيبه المرض ويدركه الموت فهو الخاسر. قَبِل سقراط هذا النوع من التحكيم وحدد يوم النزال بعد أربعين يومًا، وبينما انهمك الطبيب في تحضير الدواء السام -وهو جار سقراط في المسكن- استدعى سقراط ثلاثة أشخاص وأمرهم أن يسكبوا الماء في مدق وأن يدقوا بقوة واستمرار، وكان الطبيب يسمع صوت الدق.. وفي اليوم المحدد، دخل الاثنان بلاط الملك،

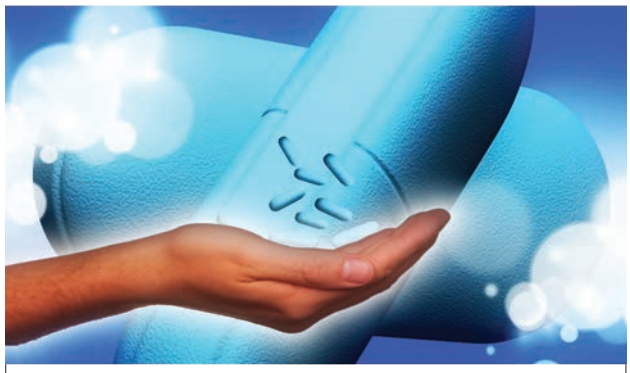

أعطى باحثون عددًا من المرضى محلولاً ملحيًّا عاديًّا، وأخبروهم بأنه أحد أدوية المرض، ثم راقبوا الخلايا العصبية في أدمغتهم، فوجدوا أن استجابة الخلايا لذلك المحلول الملحي تماثل استجابتها للدواء الحقيقي.

وطلب الطبيب من سقراط أن يبدأ هو بتناول السم ففعل، فأخذت الحمى مأخذًا من سقراط وعرق كثيرًا واصفر لونه، ولكن بعد ساعة برئ مما أصابه وتوجه إلى الطبيب قائلاً: أما أنا فلا أسقيك السم لأن شفائي دليل على علمي. ولكن الطبيب أصر على أن يشرب السم، ووسط إلحاح الحضور وعلى رأسهم الملك، أخرج سقراط قنينته وسكب نصف ما فيها في إناء، وأعطى القنينة للطبيب فتناول ما فيها، وبعد لحظات هوى صريعًا على الأرض. توجه سقراط إلى الحضور وقال: كنت أخاف ذلك عندما امتنعت من إعطائه، ولكن هل تعلمون أن الذي شربه الطبيب لم يكن سوى ماء عذب، والدليل على ذلك أنني سأشرب منه وأنتم ستشربون. وعندما سئل سقراط عن سبب موت الطبيب أجاب: إنه هوى صريعًا بسبب قوة الإيحاء النفسي لديه، حيث كان يعتقد أن ما تناوله سم زعاف، خصوصًا بعد أن سمع طوال أربعين يومًا أصوات الدق.

لقد كان العلاج الوهمي يستخدم منذ قديم الأزل قبل تقنيات الطب الحديث وآلياته، حيث كان يمارس بأشكال وطرق بدائية مختلفة، كالخلطات العشبية، أو العلاج بالنار لطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض، والكثير من الخرافات التي أثبتت فعاليتها وساعدت في شفاء المرضى آنذاك ليس لصحتها، بل لقوة اعتقادهم وتوقعهم الشفاء بها. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

د. ديبورا مولدوف*

الأسرة الإنسانية وثقافة السلام

منذ بداية القرن الواحد والعشرين والإنسانية في مفترق طرق، فاليوم نقف أمام تطور مادي كبير لم تكن جماهير القرون الماضية تحلم به؛ فسهولة التواصل وسرعة التنقل حولت العالم إلى قرية صغيرة يتواصل أفرادها فيما بينهم بسهولة ويسر. ولكن الأنظمة المعقدة التي قمنا بتطويرها -الزراعية والصناعية، والتجارية والقانونية والإدارية- وصلت إلى أعلى نقطة يمكن أن يمثله نموذجها، الأمر الذي يلزمها بإحداث تغير جزري، وإلا انهارت. وفوق كل هذا يأتي التحدي الأكبر الذي تواجهه الإنسانية وهو تغير المناخ، لأن أضراره الكارثية قد تؤدي إلى محو ما وصلت إليه الإنسانية من تطور وتقدم. الحل الأمثل يكمن في تغيير الوعي الإنساني، والخبر الجيد أن هذا يحدث الآن من حولك عزيزي القارئ.

لا تتعجب، فحتى الأمم المتحدة قد قامت بتسمية التحول الذي يحدث للوعي الإنساني بـ"ثقافة السلام"، وهذه الثقافة تتميز بأمرين في غاية التأثير والأهمية:

١- عائلة إنسانية واحدة

استيعاب أننا جميعًا إخوة وأخوات في العائلة الإنسانية الواحدة، فكل الأديان تأمر وتحث

على الخير والفضيلة والتسامح والحب. وبينما كنا في الماضي نحصر هذه القيم فيمن ينتمون لنفس القبيلة ونسلح أنفسنا في مواجهة الآخرين، فخلال هذا القرن تطور وعينا لنكتشف أنه لا يوجد "آخر".

والحكم السريع على الآخرين لاختلاف لونهم أو عقيدتهم أو انتمائهم، يتناقص بوتيرة جيدة، فما عدنا -كإنسانية- نعيش منعزلين؛ فمن نتقابل معهم في المدرسة من أصدقاء، ومن نعمل معهم من زملاء في العمل، وجيراننا في المسكن، كل واحد -على رغم اختلافاتنا- أصبح يرى بوضوح المشتركات التي تجمعنا وهي أكثر مما قد نختلف حوله. أما العداوات والنزاعات وما توارثته الأجيال من أحقاد المجتمعات المنغلقة، أصبحت تتلاشى تدريجيًّا في هواء المجتمعات التعددية (الشمولية). هذا التحول المتسارع، ساعد في تنامي قيم التسامح والمحبة والاحترام المتبادل والتقدير.

لقد بدأت الإنسانية في القرن العشرين تخطو أهم خطواتها بظهور الحركات المنادية بحوار الأديان والثقافات، كما أصبحت -ولأول مرة- كل المتون الرئيسية للأديان المختلفة متاحة بجميع اللغات، ومع تطور التعليم أصبحت نسبة القادرين على القراءة والبحث أكبر، وبينما كان هناك بعض القادة السياسيين يحرض على عدم التسامح ويشعل الفتن لمصالحه السياسية والاقتصادية الضيقة، كان هناك إدارك لدى المنتمين للديانات المختلفة أن ما يجمعهم أكثر بكثير مما يفرقهم، وربما الأجيال القادمة ستنظر إلى تعدد الديانات بأنه تجل آخر من تجليات التنوع المذهل الذي تتمتع به العائلة الإنسانية، كتنوع اللون واللغة والخلفية الثقافية، وحالما نتجاوز اختلافاتنا سنقدر التعددية التي نتمتع بها، وحينها سيتعلم بعضنا من بعض.

الحوار بديلاً عن الحرب:

وبهذا الوعي العالمي الجديد، سيصبح من الصعب تحريض أي مجموعة لمحاربة مجموعة أخرى. ولقد بدأنا بالفعل -كإنسانية- ندرك أن الحرب والعنف لم يقدِّما حلاً مفيدًا لأي صراع بشري خلال القرون

إن ثقافة السلام تتأسس على علاقة الحب والاحترام لكل شيء؛ بدءًا من تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، إلى تعامله مع كل الكائنات من حوله.

الماضية، بل على العكس كل من شارك في العنف -المنهزم والمنتصر سواء- كان يعاني من الضرر، فالمحاربون الأمريكيون -مثلاً- بعدما عادوا من الحروب التي شاركوا بها، كانوا يعانون من اضطرابات ما بعد الصدمة النفسية وكانت تراودهم أبشع الكوابيس، بالإضافة إلى نزوعهم للانتحار.

في القديم كانت المجتمعات تنظر للحرب بعين الفخر، وتنظر إلى المحارب والمنتقم كقدوة، وكان الغزاة يُقَدَّرون ويفتخر بهم، وغنائم الحروب -بما تضمنته من استعباد البشر- كان يُنظر إليها على أنها حقوق مستحقة، بينما اليوم الإدراك العام للإنسانية أصبح أكثر تسامحًا ورحمة؛ لا ينظر للحرب على أنها حتمية، بل ينظر إليها باعتبارها الحل الأخير الذي قد يستخدم بعد فشل كل الحوارات والمفاوضات، وأصبح حل المشكلات من خلال الحوار يدرس بالمدارس. وسنشهد تزايد روح التسامح والمصالحة كلما زاد اهتمامنا ورعايتنا لمن يختلفون عنا.

العيش لإحياء الآخرين:

هذه الحقيقة يشار لها بالقاعدة الذهبية، فأفضل ما فينا يظهر عندما نساعد الآخرين ونمكنهم من العيش الإنساني الكريم. ولقد صار جليًّا أن كل حدث مأساوي يحدث على ظهر كوكبنا من جراء الحروب والآفات الطبيعية كالزلازل والفيضانات، يلهمنا أن نفتح قلوبنا ونتألم بآلام من لا نعرفهم، في سابقة هي الأولى في تاريخ البشرية، بمعنى آخر لقد تحولنا لمجتمع عالمي واحد.

٢- مهد الأخوة الكبرى

إن تأثير نفايات المصانع والنفايات البلاستيكية تؤثر سلبًا على الهواء والماء والتربة، والتغير المناخي على كوكبنا يضع مستقبل الإنسانية في خطر محدق،

hiragate.com

وكأن الكوكب يبكي حتى نستمع لما يعانيه منَّا. وها نحن بدأنا نستمع.. إن الحكمة المتوارثة في الثقافات المختلفة، كانت تنبهنا بأن نسير على الأرض هونًا، ولا نخرب الطبيعة من حولنا ولا نفسدها، فهل سنستمع لتلك الحكمة قبل فوات الآوان؟

إن مرحلة تطور الوعي التي نمر بها -كإنسانية- توقظ في إدراكنا أننا جزء من منظومة كونية، وأن البيئة من حولنا ليست جمادًا؛ فهي حية تتنفس بكائناتها.

ما بين التقدم التكنولوجي والحفاظ على البيئة:

إن شعورنا المتجدد بالأواصر التي تربطنا بالطبيعة والكائنات من حولنا، وإدراكنا لأهمية الحفاظ على التناغم والتوازن البيئي حولنا، أيقظ فينا عدم الرضا عن المنهج الذي يتبعه العلماء اليوم؛ لأنه يعادي البيئة وكل المخلوقات التي تطلق على هذا الكوكب لقب "الوطن". إن ثقافة السلام تتأسس على علاقة الحب والاحترام لكل شيء؛ بدءًا من تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، إلى تعامله مع كل الكائنات من حوله.

وبينما يتصدى قادة العالم لقضايا كوكب مهدد بالتصحر وتقلص السواحل وتطرف الطقس، تبحث البشرية عن اختراعات وتقنيات تمكننا من الحصول على طاقة نظيفة وغير باهظة ومن مصادر متجددة، مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، وطاقة المد والجزر، وربما من طاقة الأرض الحرارية.. لكن هل سنتمكن من الوصول إلى شطر الذرة من دون أضرار على البيئة؟ هل يمكننا الوصول إلى طاقة النقطة صفر؟ كل يوم نوجه هذه الأسئلة لعلماء عصرنا ولسنا متأكدين من الإجابة بعد، لكن الأكيد أننا -كبشر- اتسعت آفاقنا؛ فإدراكنا لأهمية الطاقة لا يقل عن إدراكنا لأهمية الحفاظ على البيئة والتوفيق بين احتياجاتنا لبقاء الإنسانية واستمرارها.

والحقيقة أن علاقتنا بالبيئة تتطور يومًا بعد يوم، لا سيما مع دخول العالم الافتراضي؛ فالأجهزة التي في أيدينا قرّبت بيننا رغم بعد المسافات، فقد صرنا نتواصل مع أصدقائنا في كل مكان، بالإضافة إلى وصولنا لمنابع فكرية ومعرفية جديدة أصبحت متداولة وغيرت مفهوم التعليم في عالمنا، وهذا ما سيمكِّن الأجيال القادمة من تطوير العلوم والفنون، ويتطلب منا تطوير علاقتنا مع البيئة، وأن نعيش في عالم متوازن، وأن ننشئ هذه الأجيال بحيث تستطيع أن توازن بين عقولها وقلوبها.

زمن الانفتاح على عالم القلب:

سيشهد القرن الواحد والعشرون انفتاح الإنسانية على عالم القلب بعدما تزول حالة الخوف والتربص التي صنعتها كل أنواع التفرقة، وستتعافى من تلك الحالة بشعور متزايد بوحدة مجتمعنا الإنساني، فالأرض كلها هي مجتمعنا. هذه التجربة ستؤهلنا لمد أيادي العون والمحبة للكل، وسيكون هذا الحب هو العلاج الأمثل لإصلاح كل ما انهدم في عالمنا، وسيوفر لنا المناعة اللازمة لمواجهة كل التحديات التي ستواجه الإنسانية.

هل يمكنك أن تتخيل القوة التي سنشعر بها كإنسانية عندما ندرك التجليات الإلهية في قلوبنا وتجليات الأسماء والصفات في كل المخلوقات من حولنا، سينصبغ كل ما يقع بصرنا عليه بتجل إلهي جميل؟

ولكن يمكنك أن تسألني؛ ما الذي يجعلك متأكدًا من أن القرن الواحد والعشرين سيكون مظهرًا لهذه العجائب التي تحدثنا عنها؟ أجل، نحن نقف على أبواب حقبة إنسانية جديدة، وفي الوقت نفسه نشعر بالتوتر، لأننا ندرك أننا طرف في تخريب البيئة، وما عدنا نقبل عجز الحكومات، وثقافة الاستهلاك التي تملأ محيطاتنا بالنفايات البلاستيكية وأجسادنا بالمواد الكيميائية الضارة والمسببة لمرض السرطان بكل أشكاله البشعة، وما عدنا نقبل حضارة يعيش فيها القلة برفاهية بينما الآخرون يعانون من المجاعات؛ لأنه عندما ترتفع درجة حرارة الأرض وتزيد معدلات البحار، سنكون في حاجة لكوكب صحي يعيش عليه أناس أصحاء يعتني كل منهم بالآخر، ونحن قادرون على فعل ذلك.

فدعونا نتحرر من الخوف، وننطلق لتأسيس أسلوب جديد للحياة على كوكبنا كعائلة واحدة، يهتم كل أفرادها ببعضهم البعض ويهتمون ببيتهم الذي يقطنونه. ■

(*) أكاديمية وناشطة في فضاء السلام العالمي / الولايات المتحدة الأمريكية.

د. العطري بن عزوز*

أدبيات الحوار والتواصل
من منظور قرآني

أصبح الحوار والتواصل في الآونة الأخيرة ضرورة إنسانية ملحة، تقتضيها الظروف الراهنة التي تعيشها المجتمعات الإنسانية في عصر الإعلام الجديد، الذي تطورت وسائله بشكل مبهر وملفت للانتباه، والذي جعل العالم قرية واحدة وربما بيتًا واحدًا يقتضي التعايش فيه باختلاف توجهاته ومشاربه. وقد تطورت البحوث المعرفية في هذا المجال بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، حتى أصبحت أزمة الإنسانية اليوم هي أزمة حوار وتواصل بين الشعوب والأمم.

فالحاجة إلى الحوار والتواصل حاجة مستمرة، وضرورة حضارية لكل المجتمعات. ولو تأملنا مضامين الفكر الإسلامي لوجدنا في المرجعية الإسلامية ما ينبه ويؤكد على هذا النهج؛ فالقرآن الكريم يتحدث عن الحوار كضرورة دينية وفكرية

قبل أن تكون ضرورة اجتماعية. فأول حوار كان قبل أن يخلق الإنسان، هو الحوار الذي جرى بين الخالق ﷻ والملائكة حول خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:٣٠-٣٢).

فهذا الحوار بين الخالق ﷻ وبين الملائكة، يدل على مشروعيته وأهميته في تصحيح المفاهيم المغلوطة، حيث أراد الله تعالى أن يعلم الملائكة الحكمة من خلق الإنسان، باعتباره خليفة في الأرض بما امتاز به من العقل والإرادة وحرية الحركة، وإمكانات الإبداع في عمارة الأرض والإنتاج فيها.. ويكون الإنسان في الأرض مثل الملائكة في السماء مسؤول عن أعماله، والملائكة مجبولون على الطاعة، فهذه الحكمة هيأت الملائكة للسجود له سجود احترام وتكريم، وليس سجود عبادة.

فالقرآن الكريم يدعونا إلى الحوار من أجل تصحيح المفاهيم، ويبين لنا الآليات والمقاصد التي يحققها الحوار، لأن الحوار عندما ينحرف عن المقاصد والأهداف المسطرة له، يصبح جدالاً عقيمًا وهو ما نشهده في واقعنا اليوم في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أو عبر وسائل الإعلام الجديدة، حيث أسهمت في تغييب الحوار عن ثقافة المجتمع.

وعليه، فنحن اليوم بحاجة ماسة لتفعيل التربية الحوارية، ابتداء بمؤسسة التربية الأولى (الأسرة)، وانتهاء بمؤسسات الدولة، إذ لن تسود فينا ثقافة الحوار، إلا بتربية مستمرة وشاملة على الحوار يتلقاها جميع أفراد المجتمع.

مفهوم الحوار والتواصل

الحوار هو الحديث بين شخصين أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، من أجل تصحيح مفهوم وإظهار الحق. وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(الكهف:٣٧). وتوجد نماذج كثيرة من الحوار في القرآن الكريم، ولا تخلو قصة من قصص القرآن الكريم من الحوار الذي يجري بين الأنبياء وأقوامهم، وكذلك في السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ.

والتواصل هو تبادل المنافع والرسائل بين طرفين أو أكثر قصد التعارف. وتلك هي الحكمة من خلق البشر لقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣).

منهج القرآن في الدعوة إلى الحوار والتواصل

اعتبر القرآن الكريم الحوار والتواصل مع الآخر من أهم الوسائل إلى الدعوة إلى الله تعالى، من أجل تعريف الآخر بدين الإسلام الذي اختاره الله ﷻ لعباده بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران:١٩). وقد دعا القرآن أصحاب الديانات الأخرى إلى الحوار، قال تعالى :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾(آل عمران:٦٤)، فقد بين

القرآن الكريم المنهج الصحيح في دعوته إلى الحوار والتواصل مع الآخر، بحيث تكون له أسس وثوابت نذكر منها:

١- الإيمان بالله والتعامل في ظل هذا الإيمان بالمثل كما ذكرت الآية السابقة.

٢- التحلي بالأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام ونبذ العصبية وأسباب التعصب للرأي مع التمسك بالليـن والحكمة في الخطاب: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت:٣٤).

٣- جعل الحق والإنصاف والعدل هو أساس وهدف كل خطاب بين المسلم والمسلم، وبين المسلم وغير المسلم.

٤- إبقاء الصراع إلى المرحلة الأخيرة من الحوار وعدم اللجوء إليه إلا عند الضرورة.

٥- مراعاة شخصية الطرف الآخر في الحوار في محاولة إلى تجنب التعصب والانفعال، سواء كانت فكرة الطرف الآخر وموقفه مؤيدة أو معارضة.

٦- الإحاطة بموضوع الحوار والإلمام بالموضوع واستيعاب الفكرة التي يدور حولها الحوار.

الحاجة إلى الحوار والتواصل حاجة مستمرة، وضرورة حضارية لكل المجتمعات، والقرآن الكريم يتحدث عن الحوار كضرورة دينية وفكرية قبل أن تكون ضرورة اجتماعية.

٧- اختيار لغة وأسلوب الحوار، لقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(فصلت:٣٣-٣٥).

وبمعرفة هذا المنهج الذي سطره القرآن، ندرك الهدف من الحوار الذي يتمركز حول توحيد الله ﷻ، وتعميم مبادئ العدل والإنصاف والاحترام المتبادل، وتجنب أسباب التعصب والخلاف، والغرض من هذا المنهج القرآني هو الوصول إلى الحق، وليس مجرد الجدل لذاته كما تضمنته النظرية الأفلاطونية في الجدل، التي تقوم على اعتبار الجدل هدفًا في ذاته. فالقرآن الكريم يذم الجدل العقيم وينهى عنه، ويدعو إلى الحوار الذي هو سلوك عام ومنهج جماعي، وطريقة حضارية في التعامل مع المواقف والأحداث.

دور الأسرة والمدرسة في التربية الحوارية

وتعد الأسرة هي المؤسسة الأولى للتربية الحوارية، والتي تحتاج بداية إلى إعادة النظر في بعض مفاهيمها، ومراجعة بعض أساليبها التربوية القامعة للحوار، وتعزيز الحوار داخل مختلف الأطر الأسرية، سواء بين الزوج والزوجة، أو بين الأب والأبناء، أو بين الإخوة والأخوات، إذ الغالب هو غياب الحوار داخل الأسرة، وحرمان الأفراد منه. ويزداد الأمر استبدادًا وتغيبًا للحوار، إذا اتصل الأمر بالأنثى؛ فكثيرًا ما تُحرم الأنثى من إبداء رأيها إلا في حالات نادرة جدًّا، وقد تتعرض للصد والإنكار والاعتراض إذا ما أبدت رأيها أو أظهرت موقفها. فالتربية الحوارية تبدأ من داخل البيت، وهنا لا بد من التفريق بين الطاعة وحُسن الأدب

والامتثال، وحق الحوار وإبداء الرأي، والتعبير عن القناعة والموقف بحرية تامة.

وكذلك المؤسسات التعليمية بحاجة لتفعيل التربية الحوارية، ذلك أنها تعاني من خلل تربوي وفكري كبير، إذ يغيب الحوار عنها كثيرًا، وتغلب عليها الأساليب الإجبارية القهرية للطالب، وإلزامه بما يحتوي عليه المنهج وما يقرره المدرس، ولا يسمح له بالنقاش والحوار إلا في حدود ضيقة ونادرة، والمطلوب اليوم في سبيل تنمية ثقافة الحوار، أن يصبح الحوار منهجًا وأسلوبًا رئيسًا وثابتًا في التربية والتعليم، لا سيما في المجالات الإنسانية، من حيث إتاحة الفرص الكافية للطالب أن يحاور ويناقش ويبدي وجهة نظره، ويسهم في صياغة المعلومة وتشكيل الفكرة، خصوصًا في التعليم الجامعي والدراسات العليا والبحث العلمي. والأمر كذلك مطلوب في الجماعات والجمعيات الدعوية، والأحزاب والتنظيمات السياسية، أن تجعل من الحوار منهجًا تربويًّا لها، وأسلوبًا عمليًّا، وخلقًا أساسيًّا من أخلاقها، وأن لا تضيق أبدًا بصاحب الرأي وتعمل على رفضه قبل الحوار معه، بل عليها أن تعتمد التربية الحوارية، وتوسع دائرة الحوار وترسي دعائمه في التعامل مع مختلف الأطر. والسبب فيما تعاني الأمة اليوم، هو غياب الحوار البنّاء الذي يجمع الصفوف ويضم الآراء لبعضها البعض فتشكل لنا رؤية موحدة.

آليات الحوار وأدبياته

يبدأ الحوار من الذات إذا كان الإنسان مستعدًّا للنقد الذاتي، لأن الله تعالى يقول:﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١)، فيجب علينا مراجعةً أنفسنا لتعويد النفس على قبول الرأي الآخر بحجته، لأن الهروب من التفاعل الإيجابي النقدي للذات، يؤدي إلى انسداد الحوار وعدم التفاعل معه بإيجابية، بمعنى يجب أن نتقبل نقد التراث بصورة موضوعية وعقلانية بعيدًا عن المساس بالثوابت. فالحوار في الأصل هو من أجل فهم الذات أولاً، ثم فهم الآخر والتفاعل معه وليس من أجل الصراع، إنه حوار يستند إلى آليات وأدبيات نذكر منها:

١- الإنصاف والموضوعية: يجب أن يعوّد الإنسان نفسه على الإنصاف، يعطي للآخر حقه إذا كانت حجته هي الغالبة، وأن يعترف بخطئه ويكون موضوعيًّا في نقل الأفكار والأخبار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾(النساء:١٣٥).

٢- البعد عن التناقض وسلامة الكلام: ينبغي على المحاور أن يستقيم في آرائه وأفكاره وكلامه، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾(النحل:٩١).

٣- تحديد المنطلقات والأهداف: وذلك قبل الشروع في الحوار، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾(آل عمران:٦٤).

٤- البعد عن التعصب: مهما كان نوعه، سواء التعصب للقبيلة أو للمنهج أو غيره: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾(الأنعام:١٥٢).

٥- الرضا والقبول بالنتائج وعدم القطع بها: قال الشافعي: "ما ناظرت أحدًا فقَبِل مني الحجة إلا عظم في عيني، ولا ردها إلا سقط من عيني". وفي الوقت نفسه لا نقطع بالنتائج باعتبارها نسبية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(سبأ:٢٤).

٦- الالتزام بآداب الحوار: كالقول الحسن والالتزام بالوقت المحدد، وحسن الاستماع والاحترام والإخلاص.

وآليات الحوار والتواصل في عصرنا قد تعددت وتنوعت، فمنها التواصل بالكلمات المنطوقة المباشرة كالحوار الذي يجري بين اثنين أو أكثر، أو الحوار عبر وسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتر والبريد الإلكتروني وغيرها من الوسائل المستحدثة.

وهكذا عبر هذه الوسائل يمكن أن نرسخ ثقافة الحوار والتواصل مع الآخر، من أجل نشر ونقل القيم الإسلامية والتعريف بالدين الإسلامي وتبادل الأفكار، ومن هنا يتحتم علينا تفعيل الحوار وتشجيعه ليصبح سمة عامة في المجتمع. ■

(*) باحث في الدراسات الإسلامية والإعجاز / الجزائر.

hiragate.com

د. منى عبد العزيز*

الماء دواء ولكن..

الماء بالنسبة للإنسان نهر الحياة الدافق، يجري في عروقه حاملاً أسباب بقائه حيًّا من أكسجين وغذاء ودواء وهرمونات ومواد المناعة، إذ كل العمليات الحيوية في جسم الإنسان لا تتم بدون الماء. ويحتوي جسم الإنسان على ٦٠٪ من وزنه ماء. ويمثل الماء من عضلات الإنسان ما نسبته ٧٥٪، ومن الدماغ ٩٠٪، والعظام ٢٢٪، والدم ٨٣٪. والماء إن غاب عن جسم الإنسان فإنه لا محالة يجف وترتفع حرارته ويذبل ويموت. وإن تمكن الإنسان من البقاء حيًّا بدون طعام فترة طويلة، فإنه لا يمكنه البقاء حيًّا بدون الماء أكثر من أربعة أيام.

وظيفة الماء

يقوم الماء بوظائف حيوية وصحية عديدة لجسم الإنسان، فينظم درجة حرارة الجسم، ويعمل على تخليص الدم من السموم والمخلفات، وهو عنصر مهم في عملية بناء الخلايا، كما يساعد على سرعة التئام الأنسجة عند إصابتها بالجروح أو الأمراض.

وأغرب خاصية للماء هي قدرته على استقطاب وتخزين الطاقات النفسية والروحية،

مما يجعله عنصرًا أساسيًّا في المعالجات الروحية. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الماء عالج أيوب عليه السلام حينما ابتلي في ماله وولده وفي جسده بمرض شديد، فقال له الله ﷻ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(ص:٤٢)، أي اضرب بقدميك تلك الأرض، فنبعت عين ماء، فقيل: "هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ"، أي هذا ماء باردٌ تغتسل منه وتشرب فيبرأ باطنك وظاهرك.

إن شرب الماء أمر ضروري لصحة الإنسان على العموم، ويؤدي شرب كميات قليلة من الماء إلى عرقلة الأيض، وخفض الأداء البدني والعقلي.

الشرب دون الشعور بالعطش

ما كمية الماء الضرورية التي يحتاج إليها الجسم يوميًّا؟ اختلف الباحثون والأطباء في الإجابة عن هذا السؤال منذ القدم، إلا أن الكمية الموصى بها طبيًّا هي ٢,٢ لتر للمرأة يوميًّا، ونحو ٣ لترات للرجال كما يفيد القسم العلمي في مجلة "فوكوس" الألمانية.

إلا أن البعض لا يلتزم بتلك الكمية معتبرًا أنها مبالغ فيها، ويمكن أن يصدق هذا بالفعل على الأشخاص الذين لا يبذلون جهدًا جسديًّا أو لا يتعرقون كثيرًا، فالشرب دون الشعور بالعطش، وإنما فقط للالتزام بالمعايير الصحية، يبدو نوعًا من الإجبار الذي لا يرغب فيه البعض.

ولكن هل يمكن أن يكون إجبار المرء على شرب الماء دون الشعور بالعطش صحيًّا فعلاً؟ إجابة هذا السؤال نقلته مجلة "فوكوس" الألمانية عن باحثين أستراليين درسوا هذه المسألة، وتوصلوا خلال بحوثهم إلى أن القواعد الشائعة المتعلقة بالكمية التي يجب أن يشربها الإنسان يوميًّا، يمكن مخالفتها.

ففي تلك الدراسة جعل الباحثون -في جامعة موناش الأسترالية- مجموعة من الأشخاص، يشربون كثيرًا من الماء في موقفين مختلفين: بعد الشعور بالعطش إثر ماراثون رياضي، أو بدون الشعور بالعطش في وقت متأخر من النهار.

وعندما سُئل الأشخاص عن شعورهم عند شرب الماء وتقييمهم له، كانت النتيجة أن المشاركين في الاختبار اعتبروا شرب الماء دون الشعور بالعطش أكثر صعوبة منه عند الشعور بالعطش إثر الماراثون الرياضي.

كما فحص الخبراء المشاركون في الدراسة -بواسطة التصوير بالرنين المغناطيسي- ما يحدث في المخ قُبيل الشرب، سواء نتيجة الشعور بالعطش أو بدونه. ولاحظوا أنه عند الشرب دون الشعور بالعطش، يحدث نشاط كبير في قشرة فص المخ الأيمن من الجبهة، وهذا يدل على أن الجسم يريد تعطيل الاستجابة للبلع.

كما أنه -بحسب الدراسة- هناك حالات توفي فيها متسابقو الماراثون لأنهم اتبعوا بدقة الكميات الموصى بشربها من الماء. ويرى الخبراء أن شرب المتسابقين لكميات من الماء أكبر من حاجة جسمهم الفعلية له، أدت إلى وفاتهم، محذرين من أن شرب كميات كبيرة من الماء، يمكن أن يؤدي إلى خفض كمية الصوديوم في الدم بشكل خطير، ويتبعه شعور بالغثيان والتشنجات والإغماء، ويقود في النهاية إلى تورم مميت في الدماغ.

الماء قبل الطعام أم بعده؟

ومن الأسئلة -كذلك- التي أثارت جدلاً كبيرًا في الأوساط الطبية، قضية شرب الماء في أثناء وبعد الطعام، وهل هو مضر أو صحي؟ فالبعض يرى أن شرب الماء في أثناء الطعام أو بعده مباشرة، يمكن أن يتسبب في الأضرار الآتية:

١- تعطيل نزول اللعاب إلى الريق، والريق ضروري جدًّا في حركة التغذية؛ فاللقمة التي لا تمتزج جيدًا في الفم باللعاب، يصعب هضمها أو يقل انتفاع الجسم بها.

٢- تآكل غشاء المعدة، الناتج عن بطء عملية الهضم؛ فالمعدة عند البدء في تناول الطعام تُفرز عصارات تكفي لهضمه وتحويله إلى طاقة، ولكن شرب الماء بعد الانتهاء من تناول الطعام مباشرة، من شأنه أن يقلل من تركيز هذه العصارة الهاضمة، أو يحول دون وصولها إلى الطعام، وبطء عملية الهضم تبعًا لذلك.

٣- تقرُّحات في المعدة، نتيجة زيادة الغازات في الجهاز الهضمي.

٤- صعوبة وصول الأكسجين إلى المخ، مما يؤدي إلى زيادة الخمول والكسل لدى الفرد، ومن ثم التقليل من القدرة على التركيز، وزيادة الرغبة الشديدة في النوم.

٥- زيادة حجم المعدة وتدليها، وعلة ذلك أن شرب الماء بعد الطعام، يؤدي إلى طول المدة التي تحتاجها

hiragate.com

المعدة لهضم الطعام، وهذا ما يسبب ظاهرة الكرش ويؤدي إلى زيادة الوزن.

٦- إمكانية زيادة مستويات الأنسولين في الجسم، فعندما لا يستطيع الجسم هضم الطعام جيدًا، يميل لتحويل جزء منه إلى جلوكوز وتخزينه كدهون، ويتطلب ذلك زيادة نسبة الأنسولين في الجسم، للتعامل مع كمية الجلوكوز الزائدة.

ويبدو أن بعض هذه الافتراضات العلمية، كان لها تأثيرها على بعض الفقهاء الذين حذروا من شرب الماء أثناء الطعام أو بعده، فمن ذلك ما ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين: "لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة، أو صدق عطشه، فقد قيل: إن ذلك مستحب في الطب، وإنه دباغ المعدة".

ولعل هؤلاء يجدون ما يقوي حججهم في الطب الصيني الذي يرى أنه من الأفضل ألا تكون المعدة ممتلئة بالسوائل خلال عملية هضم الطعام، فشرب السوائل خلال الأكل أو بعده مباشرة، يُسبب شعورًا بثقل المعدة وبانتفاخ البطن والحرقة والتجشّؤ واضطراب بالتنفس.

ويؤكد المتخصصون في الطب الطبيعي البديل نفس الرأي، فيرون أن شرب الماء أو السوائل بشكل عام خلال الأكل وبعده مباشرة، يخفّف من تركيز العصارات الهضمية في المعدة ويصعّب عملية الهضم، ويشعر الإنسان بسببه بالشبع بعد مدة قصيرة.

وعلى العكس من هذا الرأي تمامًا يرى بعض المتخصصين أن شرب الماء أثناء تناول الطعام أو بعده مباشرة، لا يسبب أيًّا من الأضرار السالفة الذكر.

وفي الدراسات العلمية الحديثة هناك اتجاه يؤكد أن شرب الماء لا يؤثر على مستوى الحموضة في المعدة أثناء تناول الطعام أو بعده. ففي عام ٢٠٠٤ درس الباحثون ما إذا كان شرب الماء على الريق يغير من الحموضة في معدة أشخاص يعانون من السمنة المفرطة، وأظهرت الدراسة أن شرب الماء لا يؤثر في حموضة المعدة؛ وذلك لأن حمض المعدة يكون أكثر حمضية بمليون مرة من الماء، وبالتالي فإن تخفيف حمض المعدة يحتاج إلى شرب كميات كبيرة للغاية من الماء، وهذا مستحيل لأن حجم المعدة محدود.

ينظم الماء درجة حرارة الجسم، ويعمل على تخليص الدم من السموم والمخلفات، وهو عنصر مهم في عملية بناء الخلايا، كما يساعد على سرعة التئام الأنسجة عند إصابتها بالجروح أو الأمراض.

وحتى حين تخف الحموضة في المعدة بعد الأكل، فإن مستوى هذا الحمض يكون كافيًا تمامًا لهضم الطعام. أضف إلى ذلك أن المعدة تغيّر حموضتها بحسب الحاجة، "وحين تتوسع المعدة تزيد خلايا جدار المعدة من إنتاج الحمض تلقائيًّا" وفق ما ينقل موقع دير شبيغل الإلكتروني عن كريستيان تراوتفاين من الجمعية الألمانية لأمراض الجهاز الهضمي. كما أن المضغ يحفز إفراز الحمض، بل وحتى رائحة الطعام ورؤية وجبة لذيذة والتفكير في طعام لذيذ، يجعل المعدة تفرز المزيد من الحمض. ومن ثم فإن شرب الماء بعد تناول الطعام يُبقي مستوى الحموضة مناسبًا تمامًا لهضم الطعام، كما أن المعدة تغير من مستوى الحموضة وفقًا للحاجة فتتوسع المعدة ويزيد إفراز الحمض بشكل تلقائي. فالماء وحتى الشاي والعصائر وغيرهما من المشروبات، تدعم عملية الهضم سواء شربها المرء أثناء الطعام أو بعده، لأن الطعام المهضوم يتحرك بشكل أفضل من المعدة إلى الأمعاء عبر الجهاز الهضمي. بالإضافة إلى أن شرب الماء أثناء الطعام يقلل أساسًا من الإحساس بالجوع، لأنه كلما زاد امتلاء المعدة قل الشعور بالجوع، ومن ثم كان شرب الماء مساعدًا على انخفاض الوزن.

يقول البروفسور "ميشيل ف. بيكو" (Michael F. Picco): "ليس هنالك أي قلق من تخفيض العصارات الهاضمة أو أن يكون شرب الماء بعد تناول الطعام له أي أثر سلبي على عملية الهضم، بل على عكس ما تناقله الناس، فإن شرب الماء بعد الانتهاء من تناول الوجبات يساهم في عملية الهضم ودفع الطعام للمعدة، ويساعد كذلك على منع الإمساك". ■

(*) باحثة صيدلانيات وصيدلة صناعية، جامعة الأزهر / مصر.

hiragate.com

أ.د. يحيى وزيري*

كيف تصمم مسكنا نموذجيا؟

١

المسكن هو المكان الذي يستطيع الإنسان أن يتمتع فيه بقسط من الراحة والاطمئنان والأمان. ونحن باعتبارنا مسلمين لنا دين قيم، وضع لنا منهجًا متكاملاً للحياة وبالتالي لأسلوب المعيشة والحياة، لذلك فإن تصميم المسكن وعمارته من الداخل والخارج، يجب أن ينعكس فيهما منهج وتعاليم الإسلام.

ولقد حاولنا في هذا المقال أن نوضح كيف يمكن للمسلم أن يسترشد بالمنهج الإسلامي عند تصميم بيته، من خلال تحويل هذا المنهج إلى معايير تصميمية واضحة عبر بعض الأفكار التطبيقية، ومن أهم هذه المعايير التصميمية ما يلي:

١- الخصوصية (ستر العورة)

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾(النور:٢٧)؛ وهي خصوصية من الخارج، كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(النور:٥٨)؛ وهي خصوصية من الداخل.

يتضح من الآيتين الكريمتين السابقتين أن خصوصية بيت المسلم أمر واجب وتوجيه قرآني يجب أن يراعى عند تصميم المسكن. وعلى ذلك فإنه بالنسبة للخصوصية التي يجب أن تتوفر بالمسكن من الخارج، فيمكن أن تظهر في تصميم واجهات المسكن الخارجية عن طريق النوافذ والشرفات، بحيث يتم الحرص على أن تفتح ضلف النوافذ الخارجية (الشيش) بنفس أسلوب المشربيات التقليدية. أما بالنسبة للضلف الزجاجية للنوافذ والشرفات، فيمكن أن يستخدم الزجاج الملون، والذي يساعد على كسر حدة أشعة الشمس، أما الشرفات التقليدية فيمكن أن يوضع أمام أبوابها من جهة الشارع الخارجي بعض القواطيع البسيطة من الخشب البغدادلي مثلاً، وبذلك لا ينكشف ما بداخل الغرفة عن طريق باب الشرفة إذا ما تم فتحها.

وبالنسبة لخصوصية المسكن من الداخل، فيكون ذلك بفصل جناح النوم وأهل البيت عن جناح المعيشة والزوار، ويكون ذلك إما بالفصل أفقيًّا عن طريق وجود مدخل متوسط للوحدة السكنية يخدم الجناحين، أو بالفصل بين الجناحين رأسيًّا كما في التصميم التقليدي للربع الإسلامي، حيث يتم وضع جناح المعيشة والزوار في الدور الأرضي، ويوضع جناح النوم في الدور الأول ويربط بينهما درج داخلي.

٢- الاقتصاد مع الإتقان والبعد عن الإسراف والتبذير

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾(الإسراء:٢٧)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

إن للمسلمين دينًا قيمًا، وضع لهم منهجًا متكاملاً للحياة وبالتالي لأسلوب المعيشة والحياة، لذلك فإن تصميم المسكن وعمارته من الداخل والخارج، يجب أن يعكس منهج وتعاليم الإسلام الحنيف.

حراء

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(الزخرف٣٣-٣٥)؛ وهذه الآيات الكريمة تحض في مجمل معناها على مراعاة العوامل الاقتصادية عند تصميم وبناء المساكن، ولكن مع الإتقان وعدم المبالغة في تزيين وبهرجة المسكن، لأن ذلك من متاع الحياة الدنيا الزائل.

والمضمون الإسلامي السابق يمكن أن يؤثر على تصميم كل من جناحي النوم والمعيشة، فبالنسبة لجناح النوم فمن الأهمية وجود غرفة نوم رئيسية ثم غرفة أو أكثر للأطفال، ولكن بالنسبة لجناح المعيشة فلا داعي لتأثيث عدد كبير من غرف لا تستعمل أغلبها إلا نادرًا في المناسبات، فيستحسن تصميم غرفة معيشة واستقبال بمساحة معقولة تكون متعددة الأغراض، ويمكن لكل أسرة أن تختار ما يناسب إمكاناتها المادية لتجميل مسكنها، وهو ما سوف نوضحه في المعيار الخاص باللمسات الجمالية.

٣- أفضلية توجيه غرف المسكن جهة القبلة

من الأفضل للمسلم في جلوسه أن يكون جهة القبلة عملاً بالسنة النبوية، كما يفضل أداء صلاة النافلة داخل البيوت والمساكن، لذلك فإنه يفضل -إن أمكن- في تصميم غرف المسكن توجيهها جهة القبلة، وذلك لتسهيل عملية أداء الصلاة داخل هذه الغرف خاصة بعد فرشها، وبذلك لا يتعارض أسلوب فرش الأثاث مع الذي يصلي مستقبلاً القبلة.

أما بالنسبة لدورات المياه فيفضل عدم استقبال أو استدبار القبلة في دورات المياه، أما بالنسبة لحوض غسيل الأيدي فيفضل أن يكون قبالة القبلة لتحقيق

hiragate.com

إحدى سنن الوضوء بالنسبة للمتوضئ.

٤- النهي عن الجلوس على جلود السباع والحرير الطبيعي

عن أبي المليح عن أبيه ﷺ: "أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع"، وفي رواية أخرى للترمذي:"نهى عن جلود السباع أن تفترش".

فالأحاديث الكريمة تنهى المسلم عن الجلوس على جلود السباع، والجلوس على الحرير الطبيعي وستر الجدران به، مما يؤكد على عدم افتراش جلود السباع أو استخدامها كبسط داخل بيت المسلم، مع عدم استعمال الكسوات من الحرير الطبيعي سواء للمجالس أو الوسائد أو الحشايا، وعدم ستر الجدران أو النوافذ أو الأبواب بالحرير الطبيعي.

٥- النهى عن تصوير الكائنات الحية

عن أبي زرعة ﷺ قال: "دخلت مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم، فرأى فيها تصاوير وهي تبنى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرة أو فليخلقوا حبة أو فليخلقوا شعيرة".

فالحديث الشريف ينهى عن تصوير الكائنات الحية سواء كانت على هيئة لوحات فنية، أو جدارية مسطحة، أو على هيئة تماثيل منحوتة.. وعلى ذلك فإنه يجب أن ينحصر وجود اللوحات الفنية أو الجدارية، على تصوير الطبيعة أو كل ما لا روح فيه، أو الأشكال الزخرفية التجريدية أو الهندسية دون إسراف أو مبالغة.

٦- مراعاة العوامل البيئية

يقول ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾(سبأ:١٥).

إن الآية الكريمة تلفت النظر إلى أهمية اختيار مواقع المدن والتجمعات العمرانية من حيث المناخ الجيد والهواء الطيب، كما تلفت النظر إلى علاقة وجود الجنات الأرضية وتأثيرها على تحسين مناخ هذه التجمعات. فلقد أشارت الآية إلى وجود جنتين عن يمين وشمال مساكن بلدة سبأ، وهو مما يلفت نظر المصممين إلى

أهمية تواجد الحدائق في التجمعات العمرانية كعنصر جمالي وبيئي في نفس الوقت، كما يجب أن لا نغفل دور إحاطة المساكن عن يمينها وشمالها بالحدائق، مما يحميها من الرياح المحملة بالرمال في حالة هبوبها على هذه التجمعات السكنية.

إن عملية تحديد علاقة الأماكن أو الفراغات العمرانية والمعمارية بالجهات الأصلية، لها أهمية قصوى، لأن ذلك سوف يؤثر على الأسلوب الذي تتعرض له هذه الأماكن للإشعاع الشمسي أو الرياح السائدة بكل منطقة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة بطريق غير مباشر، حيث أوضحت أن مريم -عليها السلام- انتبذت مكانًا شرقيًّا من حيث تطلع الأنوار في الصباح.. وكما نعرف الآن، فإنه ينصح بالتعرض للشمس عند طلوعها قبل أن ترتفع في السماء وتشتد أشعتها، لما في هذا التعرض من فوائد صحية جمة.

يقول ﷺ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ

لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(النحل:٨١)، لقد أورد الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة ما يلي: "لما كانت بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم إلى الظل كبيرة، فقد أوضح الله ﷻ أن الظلال إحدى نعمه التي منَّ بها على بني البشر، فالله ﷻ قد خلق للبشر الأشجار التي توفر الظلال، كما جعل من الجبال مواضع للسكنى كالكهوف (كما في كهف أهل الكهف) يلجأ إليها الإنسان طلبًا للظل والحماية، كما ألهمهم اتخاذ الأبنية حماية لهم من الحر والبرد وطلبًا للظل".

إن حرص القرآن الكريم على لفت الأنظار لأهمية الظلال في عمليات التصميم البيئي له شقان، الأول منهما يؤكد على أهمية العلاقة بين العوامل البيئية والعمران والبنيان الإسلامي، والثاني يوضح أن هذا التأكيد والحرص على أهمية الظلال يتفق مع القياسات العلمية الحديثة التي توضح أثر توفير الظلال في خفض درجات الحرارة داخل المباني والفراغات الخارجية المكشوفة.

٧-توفير اللمسات الجمالية

من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله جميل يحب الجمال"؛ فالجمال ضرورة في حياة المسلم وأحد المعايير الواجب توافرها في بيته إن أمكن ذلك، فيمكن أن يكون أثاث البيت بسيط التصميم ولكنه جميل الشكل. ويمكن إضفاء اللمسات الجمالية بالمسكن عن طريق إيجاد حديقة صغيرة إذا سمحت المساحة بذلك، ويفضل أن تكون داخل فناء يتمتع بالخصوصية حتى يتسنى لأهل الدار حرية التمتع، والجلوس فيها بعيدًا عن أنظار المتطفلين.

٨- النهي عن التطاول في البنيان

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان"، كما يبين ﷺ في الحديث عن علامات الساعة "وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان".

والعلة من النهي عن التطاول في البنيان إذا كان فيه تفاخر ومباهاة، أو وقوع الضرر على الجيران في حالة جرح خصوصيات مساكنهم، أو حجب الشمس والهواء عنهم.. من هنا فإن ضابط تعدد الطوابق في العمارات السكنية يكون للحد الذي يضمن التوازن بين الكثافات السكنية والمسطحات والفراغات التي تبنى عليها، وذلك للوقاية من العديد من الأمراض الاجتماعية، والأضرار الأخلاقية التي يمكن أن تنتج عن التطاول في البنيان بلا ضابط أو رابط.

هذه هي بعض أهم معايير وضوابط تصميم مسكن المسلم في كل زمان ومكان، وهي كلها مستنبطة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واضعة بذلك أهم الثوابت الواجب توافرها في مسكن المسلم مع مراعاة التوافق مع كل بيئة يبنى فيها المسكن، وكذلك الإمكانات المادية لكل مجتمع. ■

(*) كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

أ.د. محمد إبراهيم العشماوي *

طفل في الحجرة النبوية(١)

أبصرتُ طفلاً عند باب المصطفى ... يبكي ونيرانُ الهوى تَكْويهِ
فرحمتُه وبكيتُ مثْلَ بُكائِه ... حتَّى كأنّي في الهوى أَحْكِيهِ
مَنْ ذا الذي أَبْكَى الغلامَ ولم يذُقْ ... طعْمَ الغرامِ ولم يكن يَدْريهِ
ذاك الحبيبُ المصطفى الهادي الذي ... تسعى الوفودُ لِحَيِّهِ تَأْتيهِ
جَذَبَ القلوبَ صغيرَها وكبيرَها ... حتى بكَى الأطفالُ حُبًّا فيهِ
اِذْرِفْ دموعَ الشوقِ عند نبيّنا ... فدموعُ أهلِ الأرضِ لا تكْفيهِ
واشرحْ له شكْواك من ألَمِ الجَوَى ... فلعلَّ منه بنظرةٍ يَشْفيهِ
ذُبْ فيه من فَرْطِ الغرامِ صبابةً ... واطربْ وَهِمْ فيه وَتِهْ في التّيهِ
بُحْ للحبيب بما تشاء وناجِهِ ... نجْوَى المحبّ هي التي تُنْجيهِ
وبقدْرِ حبّك فيه كُنْ متأدّبًا ... واحذرْ من التشويش والتشويهِ
فإذا غُلِبْتَ فما عليك غضاضةٌ ... في قولِ كلِّ محدّثٍ وفقيهِ
لا تَخْدَعنَّكَ فيه لومةُ لائم ... أو يَصْرِفَنَّكَ عنه قولُ سفيهِ
مَنْ مِثْلُهُ واللهُ عظَّمَ قدْرَهُ ... جلَّ الذي مِنْ فضْلِه يُعطيهِ
أوَما سمعتَ له حديثًا قالَهُ ... أهلُ الصحيحةِ لم تزَلْ تَرْويهِ
"لا تُؤْمنوا حتى أكونَ أَحَبَّ مِنْ ... كُلِّ البريَّةِ وابْنِه وأبيهِ"
قلبي يَذُوبُ إذا وقفْتُ أمامَه ... وتسيلُ عَيْني أدْمُعًا تبكيهِ
وأكادُ أعتنِقُ الترابَ لحُبّه ... فأَرى جِدارًا قائمًا يَحْميهِ
واللهِ ما في الكونِ أطهرُ تُرْبةً ... أو بُقْعةً من بقعةٍ تَحْويهِ

أَشَعرْتَ بالأطفال كيف تلهَّفُوا ... وجَـرَوْا إلـيك أخُ قُبَيْلَ أخيهِ
وقَفُوا بِبَابِكَ والوجوهُ بريئةٌ ... طـمـعًا بـجـاهـك يـا أعـزّ وجيهِ
ويُصوّرُونَكَ بالهواتفِ فرحةً ... وقلـوبُهـم تَـحْتارُ فـي التشبيهِ
أيضيعُ أطفالي وأنت حبيبُهم ... ومَن احْتَمى بك قطُّ لا تُخزيهِ
يا زائـرًا جَـدّي هناك بطَيْبَةٍ ... بـالله بـلِّـغْـهُ سـلامَ بَـنـيهِ
أخْبِرْهُ أنّي قد سقِمْتُ من الهوى ... وبـأن رُوحـي دائـمًا تَـفـديهِ
وبـأننـي متـوسِّـلٌ بـجـنابه ... فـي كـلِّ ما أرجـوه أو أَبْـغيهِ
وبأنـي مـا زِلْـتُ محـتاجًا له ... وهـو المحـبُّ لأهـله وذَويهِ
لا زلتُ أطمعُ في عظيمِ نَـوالِه ... طمَـعَ الوسيـلةِ ليـس بـالتَّأْليهِ
لا شِرْكَ إن قُلْتُ النبيُّ وسيلتي ... فهـو الوسيلةُ عـند كـلِّ نَبِيهِ
اللهُ ربٌّ والـرسـولُ شفيـعُه ... يُـعطيه في الدَّاريْـنِ مـا يُـرْضيهِ
يـا أيُّها القمرُ المنوّرُ في الدُّجَى ... لا زال نورُك في الورى يَهديهِ
لا زلْـتَ تَسْـري كالحياة لِعَالَمٍ ... كادتْ مـذاهـب غَـيّهِ تُـفْنيهِ
يا حِصْنَ كلِّ العالمين من الرَّدى ... إن السـعيدَ هـو الذي تُـؤْويـهِ
ماذا على مَنْ كنتَ حِصْنَ أمانِهِ ... ألَّا يَـرَى واللهِ مـا يُخـزيـهِ
وأنا الضعيفُ المستغيثُ المُلْتَجي ... المُسْـتَجِـيرُ بـحِبّـهِ ونَـبِـيهِ
كادت صروفُ الدهرِ تقتلُ عزْمَهُ ... فامْنُنْ عليه بنظـرةٍ تُـحْيـيهِ

(*) كلية أصول الدين في طنطا، جامعة الأزهر الشريف / مصر.

الهوامش

(1) لقد شاهدت طفلاً هنديًّا أو باكستانيًّا واقفًا أمام الحجرة النبوية الشريفة يكاد يذوب من شدة الوجد والبكاء، فكتبت هذه القصيدة تأثرًا بحاله. (الشاعر)

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

الإخراج الفني
نور الدين محمد
ياووز يالمز

منسق الاشتراكات
علاء الكوابري
+201000780841
+201023201002

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-67

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
هاتف: +20123201002 - +201066067034
hirasubscription@gmail.com
اشتراك وتوزيع هاتف: +201116793277

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211

طوبى وألف طوبى للغرباء..

الذين يتنفسون أملاً وينشرون أمنًا وسكينة وسلامًا..

وينسون ملذاتهم الذاتية من أجل سعادة الآخرين..

كتاب جديد

للأستاذ فتح الله كولن

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002

مركز البيع الإلكتروني: www.souq.com

@daralinbiath | @daralinbiath

فرح الربيع

لا تحزن على شحوبها، فغيرُها مخضرًّا نبت،

وتلك سنّة الله ماضية،

ترى شتاء عابسًا بثلوجه وصقيعه،

وإذا الربيع يبث في كل ناحية فرحًا.

***

ISSN 2357-0229 67
9 772357 022004
www.hiragate.com